أحلام الناس لا تنتهي!

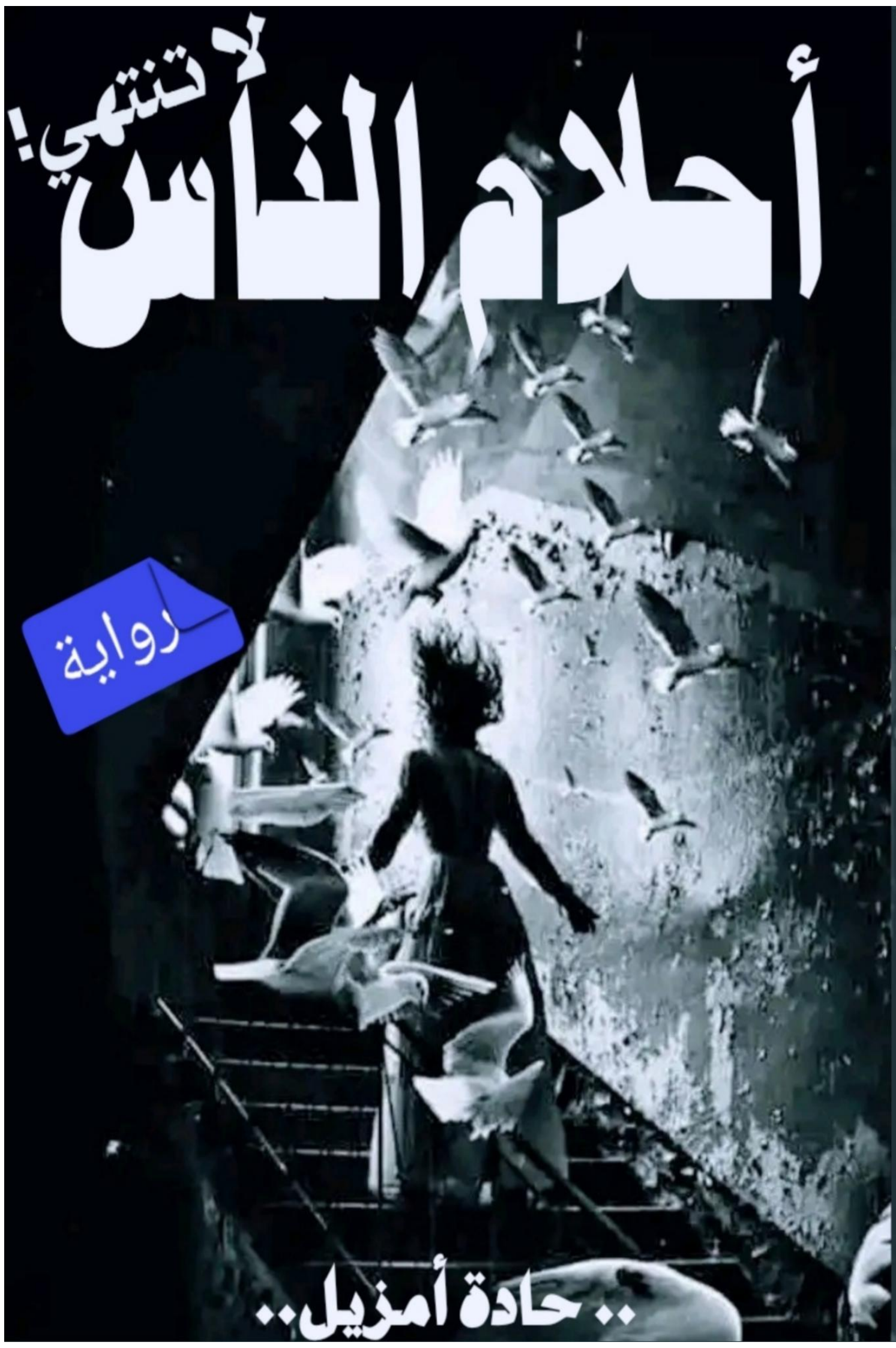

رواية

.. حادة أمزيل ..

أحلام الناس. لا تنتهي!

حادة أمزيل

دار مبدع للنشر الإلكتروني

أحلام الناس. لا تنتهي!

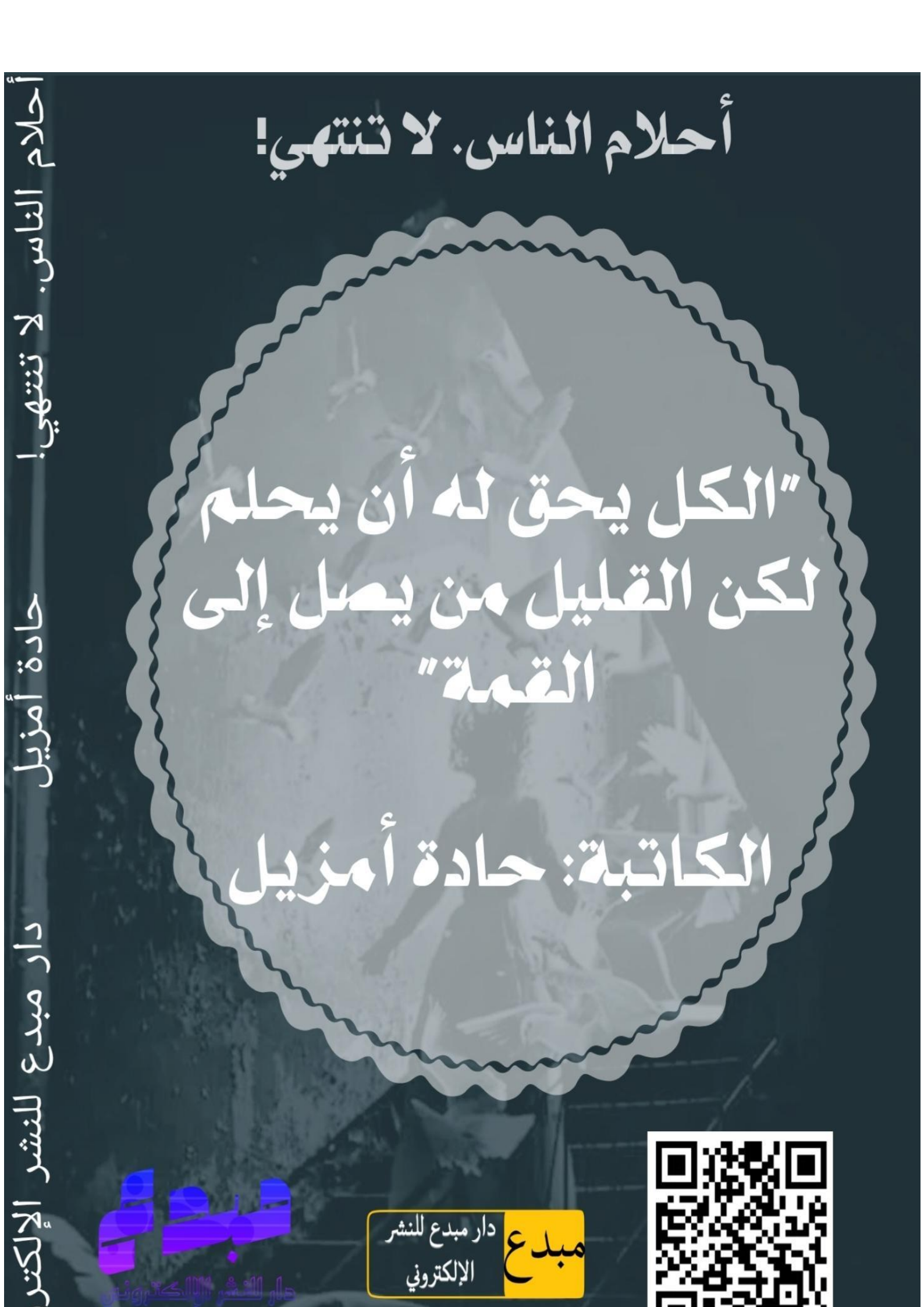

"الكل يحق له أن يحلم
لكن القليل من يصل إلى
القمة"

الكاتبة: حادة أمزيل

أحلام الناس. لا تنتهي! حادة أمزيل دار مبدع للنشر الإلكتروني

مبدع
دار مبدع للنشر
الإلكتروني

الفهرس

فقدان وتهور.....4

قرار.....13

اعتذار.....18

يوم العيد 24

ضياع وتشرد.....30

مرود الأفاعي.....46

على مثنى الحافلة.....62

مدينة الجديدة.....68

احلام الناس لا تنتهي.....83

فقدان وتهور

كانت مستلقية على الأريكة شاحبة الوجه، تتصبب عرقا من شدة التعب. فقد كان يوما طويلا شاقا على جسدها المتهالك الضعيف. وماإن سمعت صوته يناديها بصراخ" عائشة. عائشة" حتى داب الخوف بقلبها وقفت تتمايل من شدة الالم، وما إن تحركت خطوة حتى شعرت بنغص في قلبها وأحشائها وكأنها ابتلعت مقصا يقص أحشائها من داخل؛ خطوة أخرى وشعرت بالأرض تدور من حولها، دبيب في رأس أفقدها توازنها لترتيمة بالأرض مغشية عليها. تقدم خطوات منها ليقف أمامها. كانت عائشة ماتزال تقاوم غلق عيونها وغيابها تطلعت إليه بضعف شديد وهي تهمس بصوت خافت "راشيد أؤمنك على الأمانة يا رشيد" ما إن غابت عن الوعي حتى تقدم منها نظر إليها ببرود ثم تخطها سحب المفاتح من جيبه وضعا أيها على الطاولة بجانبها واستلقى على الأريكة بهدوء وكأن تلك الماثلة أمامه لا تعني له شيئا بل لا وجود إليها.

لحظات حتى سمع صوت الباب ينفتح ضحكات خفيفة تصل إلى مسمعة فنحني على تلك الجثة هامسا "لقد عاد أبنائك يا عائشة وكعادتهم متأخرون"

ماكدا ينهى عبارته حتى سمع صوت صراخ عال اهتزت من حوله الجدران، بل الإقامة كاملة ليلفت فضول الجيران والمحيطين بينهم.
نظرا راشيد إلى الواقفين ببرود ليخرج سيجارة يضعها في فمه وكأنه يشاهد مقطعا من أحد الأفلام يقام في منزله تابع الأمر بعينه نظرا إلى تلك الفتاة التي لم تتجاوز العشرين من عمرها بعد، تنحني على تلك العجوز الملقاة على الأرض تحركها لكنها لا تستجيب.

تجمعت الدموع في عينيها هامسة الذي بجوارها" عتمان أمك.
عتمان " لتنهر بعدها باكية

تقدم عتمان الفتي الذي كان يقف خلفها مشلول الحركة وكأن الأرض جمدت قدميه من شدة صدمة

جس النبض عائشة "لزلت حية ما زال قلبها ينبض "ليحول نظره إلى راشيد مضيفا ""أبى رجاء شغل سيارة لنقلها إلى المستشفى قبل فوات الأوان"

ابتسم الآخر بهدوء ليهتف قائلا ""كلا أنا متعب تم إن سيارة.
.."ماكدا أن ينهي عبارته حتى لحظ الفتاة تأخذ المفاتح من على الطاولة وتهتف "لتسعدني ياعتمان"

امتثلا عتمان لطلبها رغما أنه يعلم عدم امتلاكهم لرخصة القيادة إلى أنها قادة سيارة عدة مرات خلسة

" "توقفي يا مجنونة أن سيارة معطلة. ليلى"" هتف راشيد بتلك الكلمات بعدما غابا عن نظريه لوهلة.

لم تهتم الفتاة للأمر لكنها تقدمت إلى الخارج تركض ليلحق بها عتمان حمل تلك المرأة العجوز الضعيفة بين يده وكأنها طفل رضيع شيء بداخله يحثه على تراجع صوت بداخله يوحي له بالقول إن يتوقف ويمنعها من سياقة لينتظرونا الإسعاف أأمن لهما

لكن لا يستطيع فالموقف يمنعه ولسانه أثقل إثر صدمة، أما جوارحه فهي تأبى الاستماع إلى صوت عقله الباطني بالخارج اجتمع الجيران على إثر صراخ متسائلين عن الذي يحدث بداخل كانت على وجههم علامات الفضول لكن لأحد يسترجي الدخول وما إن شاهدو الشقيقين بيدهم العجوز عائشة حتى ابتعدوا تركا لهم طريق للمرور

فمنهم من كتم أنفاسه مصدوما بما تراه عينه ومنهم من وضع يده على قلبه ومنهم من هتف لسانه بعبارة الحوقلة

فتحت الفتاة الباب الخلفي متقدما إلى مركز القيادة وما إن تأكدت من وضعيتهم حتى أدرت المحرك لتنطلق بأقصى سرعة

وفي منتصف الطريق كانت قد تخطت سرعة القانونية المسموح بيها كما أنها تجاهلت شرطة المرور التي كانت تشير إليها وتحتها على توقف بالجانب لم تترك لهم خيار غير إجبارها على توقف

" اخفض سرعة سوف نصطدم بالجدران أمامنا انتبه""

" الفرامل معطلة ياعتمان "صرخت الفتاة بذلك وهي تحاول بكل قوتها أن توقف سيارة فهي تعلم إن استضمت بالجدران لن يعش أحدهم لم تجد غير الانحراف عن المسار توجه محل الأثاث المنزلية

تواني قليل حتى اخترقت السيارة المحل لتضرب الفتاة رأسها مع المقدمة سيارة لتفقد بعدها الوعي أصيب الفتى بجروح طفيفة أثرا انكسار زجاج أما العجوز فقد كانت أكثرهم أذا انزلقت من أعلى المقعدي لتسقط على تراكمات زجاجية المندفعة من كل جوانب السيارة.

أجتمع الناس حول الحادثة ولحسن حضهم كانوا قريبين من المستشفى لتخرج سيارات الإسعاف منه معلنات عن حدت طارئ بعد أن أستقبلا نداء من أحد افرد شرطة الدين أنقدو المصابين وأخلو المكان تركين خردة سيارة تعلن انفجارها مسببة خلفها أضرار مالية ونفسية لا تحصي.

فتح عتمان عينه بعد أيام قليلة من الحادثة ليجد نفسه ملقي على سرير في أحد الغرف من المستشفى تحط بيه الأجهزة الطبية وتقف على رأسه أحدا الممرضات تقلب الكس المرتبط بيده همس بخفوت "أين الجمع؟

_استيقظت حمد لله على سلامتك سأبلغ الطبيب حالا

_أين الجميع؟

_لقد غادرو منذ مدة قصيرة

شعر عتمان بنفس الصوت الصادر من داخله قائلا"" إنها تحاول أن تخفف عنك لا تريد أن تقول لك. لقد فقدت حياتك لقد فقدت الجميع من حولك أنت الآن ميت أو ربما ستموت قريبا""

أحس عتمان أن شيء أسود يخنقه ليصرخ في وجها "أين الجمع"

ابتعدت عنه خوفا منه وعلى حالته لتنادي طبيب الذي أتى فورا يتفحصه

_بماذا تشعر؟

_ضيق بصدري أخبرني أين الجميع أكاد أصيب بالجنون هنا ماذا حدت بعد الحادثة لماذا لا تجيب أين الآخرون؟

_على رسلك ماذا تتذكر من الحادثة؟

_دمائهم في كل مكان!

نظرا طبيب إلى الممرضة نظرات فهمتها لوحدها لتعيد جرعة مخدر وتغرسها في الأنبوب المتصل مع دراعة وما هي إلى لحظات حتى بدا مفعول المخدر يسري في جسد عثمان

_إياك أن تخبره عند استقاظه غدا عن فقدانه لأهل لن يستحمل

_لكنه سيعلم لحقا

_اجل حنها سيكون قد خف واصبح جاهزا لتلقي الأخبار سيئة

_ومادا عن عائلته

_اترك لهم الأمر

كان يتحدثان غير ابهين لذلك شخص نصف نائم ذلك، شخص الذي لا زل نصف وعيه مستيقظا

لكن ما لبيت أن غاب كليا حملا معه تلك المحادثة إلى عالم الاحلام أو ربما لعالم الكوابيس التي ستروضه بعدها.

وعلى طرف الآخر بغرفة ثانية كانوا الممرضين يسجلون حالة وفاة ليبعثوا بعدها الميت إلى غرفة الموت حتى تستخرجه عائلته حينما يعلمون بالأمر

وماكدا الأمر ينتهي حتى سمع صوت صراخ بالخارج كان مصدره امرأتين وعجوز يقف بجانبهما ثلاثة شباب يحاولن تهدئتهم
وبجوارهم كان يقف طبيب لم تسمع الممرضات سوى عبارة"" الله يصبركم بفقدانها"" حينها علموا أنه أتى الأوان لأخرج الجثة أمامهم

ما إن رأوها حتى خارت الأقدام وانهالت الأجساد ومتبقي سوى صوت نحاب يردد ""آه يا ابنتي لقد رحلت في عز عمرك لم ترين من الحياة سوى الجحيم أهدئ يأمي ودعي لها برحمة

" وكيف اهدئ يأبني وانا اودع قطعة من رحمي

كيف أهدئ وانا أرى فلدة كبدي جثة هامدة"

كانت دموع تنهمر كشلال على وجنتين صفعتهما الحياة عدة صفعات كما كان هناك من يقف بصمت يشاهد للأخر مرة ذلك الوجه الحنون اللطيف لطالما كان مبتسما في وجههم .ها هو الان مصفرا ،مغمض العينين

-توقف عن النحيب وادعو لها برحمة *ما كانت تحب ان ترى* دموع احد منا لدا ودعها بسلام

-عمر

-ماذا هناك

-بالنسبة لمراسيم الجنازة هل..."

_لن تيم حاليا حتى يستيقظ عثمان !

كان عمر اخ عثمان الاكبر والابن الثاني لعائلة جهاد كان يبدو قويا صلبا لكنه اكتر من انهار بينهم اكتر من ينزف من داخل فها هو الان يودع امه وينتظر اخه ويأمل في القيام اخته كما انه يحمل بعض الحقد لرشيد كان قد انقسم بينهما رغما ان *يبدو هادئ رزين قويا وكأن الجبل الهم والحزن الذي يحمله* بدخله لم يمسسه قط .

في اليوم التالي كان عمر يقف أمام عثمان الذي استفاق هو الأخر ،همس بضعف شديد

_عمر

_ حمدلله على سلامتك

_عمر إن الاخرون؟

تنهد عمر حسرة والألم ما كان قدرا على إخفائهم عن اخه

_لنقول انهم في انتظارك خارجا

_ليلى. !

_كلا الخال حسن والجدة رقية والخالة فردوس واحمد زوج اختك هدى وهدى نفسها هنا

_وماذا عن ليلى وأمي ؟

نزلت دموع من عين عمر الحمراوين لتسقط ببطء على خده

_رحلة الى دار الاخيرة

صمت قاتل حلا على المكان ليترك الحزن والندم والحسرة تنفجر بتلك الغرفة .

فاهي قد رحلت الجنة التي كانت تحيط بهم

ها قد رحلت من كانت تمدهم بالقوة اثناء الضعف وتعطف على حزنهم ،تلملم شتاتهم وتريح همهم ،رحلت من كانت تدفئ برودة

أجسدهم ومشاعرهم .ها قد رحلت قطعة اخرى من قطع الرحمة . تركتا خلها قلوبا مكسورة وأجساد منهارة على فقدنها .

قد انتشر خبر موتها كما تنتشر النار في الحطام ولما علم الجيران والناس اتو من كل مكان حتى امتلأت صفوف الجنازة عن اخرها ، حضرا عددا كبيرا لا يحصه الى الله .

ولما لا؟ فهي كانت امرأة طيبة لم يمس لسانها قط عرض الناس ولم يجرح مشاعرهم رغما الجروح التي تلقتها كانت دائما تدعو لمن كسر قلبها بصلح ولمن داس على كرامتها بالمغفرة ولمن خدش عرضها بالهدى. بجنازتها اتت كل القلوب التي يعتصرها الحزن والألم والايمان بالقضاء والقدر تدعو للفقيدة برحمة وان يسكنها الله فسيح جناته ويلهم دويها الصبر وسلون..

لقد كان موت عائشة بمثابة وداعا لا رجوع فيه ،ودعا أذا الى طريق المنتهي عند ابواب كانت تقفلها كفوف الام لتنفتح ..

قرار

مر شهرا كاملا على الحادثة تغيرت أتناه عدة أشياء، فهناك من توصل بنداء خارج الوطن ،وهناك من اقام زفافا جديدا تركا خلفه كل شيء ، وهناك من أنجب اطفالا للحياة انسوا الحزن وبتو البسمة في الوجه .

_ألم تحزن على موتها قط ؟

انتبه العجوز الرشيد على كلمات عثمان الذي يقف امامه وبجانبه عمر وهدى ينظران اليه بصمت لعلهم يتذكرون مشاعرهم، أو لعلهم يحللون أفكارهم ،لعلهم يحسمون قرارهم توجهه . فقد بدت تلك المشاعر بذبول ليحل محلها طغائين تجه ذلك الكسول المخمور الذي كان ولايزال يسبب الألم والمعاناة لمن حوله .

_كلا ألي ترى أنى تزوجت بعد اسبوع من موتها

كان يتحدث مشيرا الى امرأة تجلس بجانبه تتطاير من عينها الحدة وذكاء في تلاثين من عمرها تضع اطنانا من مساحق التجميل . تنهدا عمر بخيبة فقد كان يتمني ان يرى في وجه ابه قليلا من ندم ، قليلا فقط كان كافيا ليمحي كل كليلا اسود حمله توجهه . هتف موجها كلامه لعثمان

_ما هذه ترهات التي تتفوه بها عن اي أحزان تتحدث عنها ياعتمان نحن لم نأتي هنا لنسأله هذه الاسئلة نحن جئنا لنأخذ اشيائنا ونغادر فلم يعد هذا المكان ملجأنا .

"لقد انزلت كل شيء يخصكم بالقبو "عبارة صدرت من تلك المرأة ليحللها كل واحد منهم كما يشاء وكأنهم تقول لهم اغربا عن وجهي فذلك لم يعد اباكم ولا أنتم تمتلون له بصلة ، وهذا لم يعد منزل طفولتكم البائسة ،و إنما أصبح بيت أحلامي مع هذا الرجل اغربا عن وجهى ايها الحمقى ولا تأتون مجددا . عبارة كافية ليرا كل واحد منهم شخصية تلك المرأة

نظرت هدى اليها تتفحصها وهي تحدث رشيد

_وانت ما رأيك فيما تقوله زوجتك

ضحك العجوز حتى كشف عن اسنان سوداء من شدة تبغ التدخين "اذهبا الى الجحيم "

ابتسامة عمر على عجرفة رشيد وانصدمت هدى من قوله كما بكي عثمان للحل ابيه ،وضع كل واحد منهم كفه على ضهر اخيه ليهتف عمر ""هيا بنا يا عتمان" غادر الاثنان بينما اقتربت هدى من تلك المرأة وهمست بشيء في أذنيها جعلت الاخرى تستشيط غضبا وتنعلها بداخلها .

كانت هدى فتاة التي اسعدت عائشة بإنجابها فقد كانت تشببها في كل شيء وكأنها نسخة مصغرة عنها ،لاختلف بينهم في تلك الملمح الجميلة والعينين البنتين، انفها النحيف متزامن مع خدين وردين، ذات وجه نحيف ابيض ينسدل على كتفيها حجابا يغطى شعرها الاسود كالحرير ، متوسطة القامة خلفة اخويها عمر وعتمان الذين يتميزان بقامة طويلة تم انهم لا يختلفان في ملامح غير عيونهم الحادة كصقور ..

""ماذا قررتم يا شباب "" تفوه عثمان بذلك وهم في طريقهم الى القبو

_سأعود الى بيت زوجي وطفلي الحديث الولادة

_وماذا عنك انت يا عمر ؟

_سأتبع عملي وأنت !

_ربما سأنتظر ليلى لأقرر بعدها

هتف كل من هدى وعمر في وقت واحد ""أمجنون انت ؟ ""ليتابع عمر بعدها

_في تلك الأثناء ستفقد فرصة دراستك خارج البلاد

_وماذا في ذلك ؟ صفعته

ى صفعة قوية وهي تصرخ ""أيها الآبلي تلك الفرصة التي تريد ان تضيعها من بين يدك لست ملك لوحدك لكى تقرر ذلك من تلقاء نفسك تريد ان تفوت عشرون سنة من عمرك أيها المدلل عديم المسؤولية .

تنهد عتمان وقلبه يعتصر ندما وألما ليأتيه صوت ضميره ""لو كنت اوقفتها في ذلك الوقت ما كانت أمك الان بالقبر وما كانت هي الان بالعناية المركزة يعلم الله متى تستفق من غيبتها الطويلة وكأنها تأبى الاستفاقة على هذا الوقع المر وماكنت انت الان حائر تتلقى تهم من أخوتك ""

كان ندمه يمنعه من تفكير وهما لا أحد منهم يعلم انها هي الواحدة القدرة على إخراج ذلك الحزن القابع بداخله هي الوحدة التي في استطاعتها تحويل همه الى سعادة ..وهل انتظارها يعود جرما ؟ان كان كذلك فهو يقبل

تنهد عتمان قائلا لندع الأمر للقدر ولنترك الايام تحدد....

في العالم الاخر حيت توجد الجنة التي تسير النظر وتجعل القلب يقع في عشقها ،خلال نظر اليها تشعر النفسة بالطمأنينة لامثيل لها .
انهار المياه تجري تحط بها كل انواع الورد المختلفة تتراقص على اشعة الشمس المتلألئة في وسط السماء صافية زرقاء وصوت العصافير التي تعلو من فوق اشجار الكرز التي تنثير هذه الاخرى

أورقها في كل مكان ،وكأنها تحتفل بحضور فصل ،أجواء تأسر النفس وترغمها على المكوث طويلا ، وبأحد الشجيرات كانت تجلس اسفلها امرأة وتهمس وكأنها تكلم أحدا

_عودي فهناك من يبكي على انتظاريك ،وهناك من هو حزين من أجلك

عودي وانهي كل امورك وحينما يحن الوقت لنجلس معا..

كان *المشهد* يبتعد في كل لحظة ومع كل عبارة كان يبتعد ، يبتعد تم يبتعد الى ان اختفى كل شيء ليسدل ظلام الشاسع ستاره لم يعد يظهر من خلاله شيء

""ليلى استيقظ لقد طال غيابك "

همس خافت يصدر وسط الظلام صوت حزين

""استيقظ لقد قررت الرحيل لكن قلب ينفطر ،اريد توديعك ولا أريد تركك وانت على هذا الحال... "

فتحت عيونها لترا نورا قويا يشع من الغرفة اجهزا طبية في كل مكان وهناك على الاجانب الاخر أحدهم يمسك بيدها منديا ،نظرت اليه وعلمت أنها كانت في عالم الأحلام عالم تمنت ان تبقى فيه طوال الحياة لكن صوته المزعج ايقظها من سبتها .

رفعت يدها ببطء لتبعد قناع الاكسيجين على وجهها وهتفت بضعف

_كالعادة فتى بكاء متى ستكبر وتنقلع عن هذه العادة السيئة .

سعادة غمرت وجهه وحزن أختفى لسماع صوتها دموع تساقطت معلنتا عن الحنين والشوق طويل أفطر القلوب ومزق الارواح.

اعتذار

اسمي ليلى وهو اختيار من أخي عمر كان قد حدده لي قبل مولدي بشهر ، هذا ما كانت تخبرني بيه امي عندما كنت أسألها ،كانت تقول ان عمر لم يتردد قط في اقتراح اسمي بل كان دائما متحمس لمعرفة جنسية المولد .

ليس من الغريب أن لا يكشف في دالك الحين جنسية المولد بعائلتنا كما هو سائر الان ،لكن وليدتي لم تكون مهتمة بهذه الامور .كل ما يهم هو ان مولدا سيقبل ، كان همها توفر له المكان المناسب والوضع الائم ليستقر وهذا ما كان سبب تعاسة ، لأن ذلك الزوج العجوز لم يكون يهتم وكان ذا طبع قاس بعض شيء فقد كان يجن جنونه إدا منعته أمي من تدخين داخل المنزل او دخول اليه وهو في حالة سكر وكان يصب جماح غضبه وجنونه في تهشيم وتكسري عظام أمي واصدار الاصوات المزعجة أتر صراخه ، كانت تعاني مرارة الحياة من جهة ومرارة تعاسة من جهة تانية .

وخضوعها لقسوة زوجها من جهة اخرى .ولما لا تخضع للمعاناة! وهي من كانت تستيقظ في منتصف الليل تدعو له بالهداية وان يعود للطريق لأنها تحبه وتأب له ان يغرق نفسه اكتر بالمعاصي ،ليس لأنها ضعيفة شخصية لكنها ضعيفة امام من اختاره قلبها ،تلك المشاعر جعلت منها فرسة سهل الاصطياد من طرف وحش لئيم بارد لا يفكر سوى بالحصول على قنينتا المشروب ذات قيمة عالية، فلما كامت على مشارف الهاوية ما ذكرت سوء بزوجها وما كسرت بقلبه لكنها تبسمت واقسمت أن تبتعد قبل ان تسقط ،ان تحاول تغير وضعه ووضع أولدها وأن تعمل جاهدة للتطمأن انهم لم يحملون حقدا عليه ،لكن انكسرت عصها في أخير عمرها وانقطع املها بالحياة .

ألمتني وفتها تعيسة ليس لأنها ماتت بعض الاحيان الالتحاق بالأخيرة اهون من العيش في الحياة بجسد بدون روح ،ما ألمني انني كنت سببا في ذلك ، ما ألمني انها فرقت الحياة ولم تدوق طعمها ،لم تبتسم كما أردت ،ولم تعش كما كانت تحلم لم تصل لحلمها ،لم تحقق منه شيء.

كنت يائسة جدا لكنها راودتني في احلامي وأبادت يأسي ،كنت ارفض هذا العالم وأرفض العودة اليه لكنها حثتني عن البحت عن الحياة التي أردتها ودعتها حينها لأستيقظ بعدها وأضع رأسي في

صدر أخي ونبكي سويا تركين احزننا ودموعنا وألمنا في تلك الغرفة ونغادر بعدها الى بيت جدتي .

وما إن رأتني تلك العجوز حتى اصدرت اصوات زغاريد ،كانت تقف بسعادة مناديه "حفدتي الحبيبة " ،ليقف الجميع بجوارها .
همست خالة فردوس في أذني فرحتا بقدومي " حمدلله على سلامتك "

بينما عانقي الخال وهو ينظر الى بنظارات فهمت منها الكثير ،نظرتا وكأنه يقول فيها تهورك قادك الى ما أنت عليه تهورك افقدنا حياة فرد من افرادينا لكن سعيد لأنك نجوة وتعس لأنك ابنت ذلك الرجل .

مشاعر متضاربة كنت اقف على سورها متكأه علي عكاز لم اشفى كليا لازلت اتار الحادثة راسخة بجسدي لكن ضميري كان يقول هذا لا شيء مقارنة مع ما يشعرون به كان مواجهة تلك المشاعر ،شعرت وكأن جسدي بارد جدا يرتعش فوقفت على حمم البركانية لتدفئ جسدي لكنها ادبته ،تشعرني بالارتياح لكنها كانت مؤلمة .كذلك مشاعر جدتي وأبنائها وكذلك مشاعر اخواتي ،شعرت الاول مرة أني افتقدهم لكنهم بجانبي ،شعرت وكأن روحهم غابت ليبقى اجسادهم على الارض ،وللأول مرة فهمت لماذا كانت امي تحتنا على عدم الكره وان نترك كل ما يجعل الخبة بداخلنا .

كانوا مضطربين ،قلوبهم تهتز على إيقاعات مختلفة ،اقاع البرد وللامبالاة كما هو حال عمر ،اقاع الحقد والكره كما هو حال هدى ،لكنه الوحيد لذي يشبهني الوحيد الضائع متلي الوحيد الذي لم يكره احدا لكنه حزين من أجله .عتمان ذلك شقي الذي لم يعرف قلبه كره او برود لكنه يشعر بندم ربما لأنه سيراني ....

لابأس ايها الحبيب الكل سيهون فلا تيأس فإن كان احد سيتحمل المسؤولة ما جرى سيكون أنا ،لذلك لا تجعل نفسك تحمل ما لا طاقة لها ،

نظراتك كافية لتقول انك تريد أن تعتذر؛ لكن لا تعذر فأنا من يجب عليه الاعتذار .وما إن اجتمعت افراد الاسرة حتى وقفت بالمنتصف وصرخت بأعلى صوت أخرجت كل ما في داخلي دفعة واحدة أخبرهم عن ما يكنه قلبي نحوهم ""اعتذر ،اعتذر لأنني سبب حزنكم اعتذر لأنني سبب كرهكم اعتذر لأن لولم اتهور في لحظات ضعف ما كان احدكم يشعر بالندم الان ،وما كان احدكم بارد والاخر حزين ، اعتذر فرشيد ليس المسؤول فانا الواحدة المسؤولة امامكم

اعتذر يا خال حسن لأن احمل صفات رجل اتعس حياتكم ،اعتذر ايتها الجدة لان سبب في فقدانك احد ابنائك .اعلم ان الاعتذار لن يرد لكم شيء ولن يرجعكم على ما كنتم عليه ،وانا لأطلب منكم الان ان تعود الى حالتكم سابقة لكن أطلب منكم ان لا تلموا احد غيري وان

لا تحملوا على انفسكم ما لا قدرة على تحملها "" انهيت كلامي وانا اشعر بدوار ربما لأنى صرخت كثيرا حتى تعبت او ربما وقفت على ساقي كثيرا حتى اشتد الألم ربما تحدت كثيرا حتى اضطربا عقلي.

لكن انا اشعر بالارتياح أكتر الان لأني لم اضع فرصة تأجيل الى يوم اخر ،ولأنى فتحت ابواب تلك المشاعر لتظهر وكأنها ليلة لاعترافات .

تنهد عتمان قائلا "انا اشعر بالندم لأن راشيد اخبرنا انا سيارة معطلة لكن لم استطيع منعك !

اضافة الحال حسن " ماكنتم سبب قضاء وقدر "تبسمت الجدة "كم تحملين من الحزن يا ابنتي وليشهد الله أن لا أحمل في قلب حقدا تجاهكم "

تابعة عمر قائلا "" يلاتني كنت هناك "

بكت كل من الخالة فردوس وهدى .شعرت بعدا كل تلك الاعترافات ان كل واحد منهم بدأت توضح له صورة ما ،لكن على العموم اصبح يرون خيط الامل بالحياة و يا ليتهم يمسكونه ليبدو الحزن بداخلهم ، الصمت عظيم لكن البوح بما نشعر به بداخلنا تجاه الاخر أعظم لأنه وسلة لتربطنا وتلم شتات العلاقات المكسورة والتي تكاد ان تنكسر ،الصمت في بعض الاوقات يصبح كسهم حاد

الاتجاهين ..لم نتحدث بعد ذلك اليوم سوي عن ما يخص عتمان وعمر حياة الخال بصحراء افكار الخالة كلها كانت حكاية نحكها عن حالينا حكايات تشمل تلك الحياة المثمنات وتلك الاحلام التي تنتظرونا ،لم يعلق احد على تلك الاعترافات بعد ذلك ولم اعد اشعركما كنت اشعر من قبل شيء بداخل يقول ان كل على ما يرام ،رحل عتمان وعاد عمر لعمله افترقنا من جديد لكن كسبنا البسمة التي عادت في وجه الجدة من وفي وجه الجمع

يوم العيد

الايام تمر لن نعش حياتنا سعداء دوما ولا تعساء دوما هناك لحظات فرح ولحظة حزن هناك اوقات نسعد فيها حتى نرى ان دنيا في ابها حلتها ،نسعد وكأننا ملكنا كل شيء ،وهناك لحظات يتمكن منا اليأس ونصبح نرى الجحيم امامنا ظلام يغلف الامل بحياتنا .من البديهي اننا لن نستطع ان نحول الوقع الى تلك الاحلام التي يتمنها كل واحد بداخله لكن نستطيع ان نحول تلك الاحلام لتشريكنا وقعنا

_ألم تجهزي نفسك بعد "هتفت الخالة فردوس من اسفل تحدثني

_كلا لزال الوقت مبكرا " اجابتها وانا أجلس كعادتي على سور السطح انتظر بزوغ الشمس من مشرقها انتظر تلك الحظة التي تشرق فيها وكأنها تشرق الامل بداخلي متطلعة الى يوم افضل من سابقه ،كما انه اليوم يوم افضل انه يوم العيد حيت يجتمع الاحباب ونسرق لحظات من سعادة التي اشتقنا لها

_انزل سأسعدك "ندت الخالة مجددا كانت تبدو في غاية نشاطها وحماسها متل تلك الطفلة التي تستقض على صباح البكر تنظر زائرا يحضر معه هدية لها سعادتها اسعدتني بل دبت في نفسي نفس الشعور..

اطل جار من المنزل المقابل الينا فصرخ بصوت عال فور رؤيته لي بعبارة التهنئة ،بدلته ايها بنفس الحماس .

اطفال خرجوا لتوهم يصرخون في شارع يرتدون بدل جديدة ويحلقون رؤاسهم سعداء هم بيوم العيد .

جرتنا اخرى تهنئني بالعيد ابدلها تهنئة بنفس الابتسامة .شباب اجتمعوا ليعلقوا زينة قبل بزوغ الشمس .

جمال روح اشعر به اتمني ان يدوم كل الايام عيد وليس يوم العيد فقط

_انزل ايتها الفتاة من هناك """

_ولماذا لتصعدين انت

_حسنا انا قديمة

لحظات حتى كانت الخالة فردوس بجانبي كانت عينها متلألئة بحماس لم ارا متله من قبل كنت اتطلع اليها وانا اهمس في نفس انها تشبه الراحلة نعم تشبهها كثيرا

_لماذا تنظرين لي هكذا

_لأني اراك في غاية الجمال اليوم

ردت وهي ترفع يدها لتضعهم على خديها بخجل "انه يوم العيد انا سعيدة "

لداعي لتخبرني بذلك فإن ارى يا خالة سعادة في وجهك واتمنى دومها كما انني ارها تحط بشارع من رأسه الى رأسه الكل

متحمسون لم ارى حزنا على وجه احد في هذه اللحظات اشعر وكأن الله انزل سعادة في قلوب كل الناس لنتشارك في لحظة من العمر.

عادت كنا نجبر على الابتسام لكن اليوم سعادة الجميع نابعة من قلوبهم بزغت الشمس لترقص أشاعتها على جدران الشارع خرجت النساء منتشرين الى بعضهم البعض.

سألت الخالة عن ما يفعلون قالت ""انهم يجتمعون "ردت وهي ترفع يدها مشيرة الى احد الجارات

_ما الذي تعنيه

_انهم يحددون موعد ليجتمعن فيه كأسرة واحدة انظر هناك

في الجهة حيت اشارت كان هناك شباب يجهزنا الكراسي والطاولات تم التفت اليا بحماس قائلة "ستخضرين معي اليس كذلك "

"اجل "

لا أعلم مادا سيحدث لكن اشعر بحماس كما لم اشعر بيه من قبل

_إذًا لنزل الى اسفل

هززت راسي وعلى عصاتي اتكأت وبخطوات مهتزة نزلنا الي اسفل وجدت الخال حسن يجلس بصالة مرتديا جبدورا ابيض تزينه نقوش تقليدية خضراء وبلغتا ذات اللون الاصفر يضع على رأسه

عمامة صفراء تقدمت منه وضعت قبلة على جبينه لكن فضول بداخلي يحثني على نزع عمامته وفي لحظة مدت يدي لكن فجأة به يمسكها قائلا "لا تحاولي فضولك سيقتلك يوما ما "

ابتسمت الخالة على اتر كلماته هنأني بحلول العيد وسالت عن الجدة اخبرني انها لم تستيقظ بعد

_حسنا لنذهب ياليلى

تركنه حيت هو وتقدمنا الى غرفتي وما إن دخلت لها حتى تطلعت الى مرأة نظرتا لنفسي

كان شعري قد نما بعدما تم قطعه كليا بالمستشفى بحجة انه كان يعقهم لعلاج جروح براسي ها هو قد كبير لكنه بطريقة غير مرتبة حيت توجد بعض الشعيرات اطول من الاخرى والبعض الاخر قصير جدا .طلبت من الخالة ان تعدله فامتثلت فورا ،جلست على كرسي امامها بينما هي احضرت مقصا لترتيب شعري ، نظرت الى ملامحي ابحت عن شيء يشبه ملامح امي او اخواتي لكن لم اجد غير الملامح شبيها بأبي اشبهه في كل شيء شعري الاسود عينا الخضرتين رموش كتيفة ،حاجبي الرقيق ،انفي المتوسط الحجم وحتى من وجهي النحيف لا يختلف عن وجهه كان هناك اختلاف على جبيني ندبة على شكل خرف "N بالهيرغانا " تركه الحادث هناك .

سألت الخالة كيف اخفي تلك الندبة

فهدتني رابطة الرأس كانت تبدو عادية لكنها لطيفة ارتديتها مع اجمل الفساتين ونزلت لأقبل راس جدتي العجوز وأهنأها ،بابتسامة ردت تهنئة كما انها وضعت بقشيش في يدي .لحظتها استيقظت تلك الطفلة بداخلي والتي لم تمت مع موت مشاعري ..

على ساعة العاشرة صباحا تجتمع النساء الحي حولة طاولة اعدو ما تحمله بأيدهم ،وعلى نفس ساعة يجتمعن الرجال بالمسجد للأداء صلاة العيد ،وعلى نفس ساعة يتسلل الاطفال الى محالات التجارية لكي ينفقو ما تحتويه جيوبهم من هديا العيد على حلويات والاشياء الصغيرة التي تسعدهم ،وعلى نفس ساعة اسمع صراخ الخرفان متتابعة ومتواصلة وكأنها تودع بعضها البعض ، صنفونيات المديح تعلو شاشات التلفاز والإذاعات ،روائح البخور طيبة تغادر كل نافدة منزل وماهي الى ساعة حتى تغير تلك الاجواء الى صخب مختلف ،تنتهي طاولة والأحاديث الشيقة ليغادر كل منهم الى بيته يعود الرجال من المساجد ويستعد الاطفال تعلن شاشات عن نحر أضحيا جلالة الملك ليتبعها تكبير وابل من نحر لم يعود للخرفان اصوات ولم تعود روائح البخور متصاعدة لكن حل محلها روائح شواء ولم يعود الاطفال في شارع الكل في منزله ،كنت اشاهد بين الفينة والاخرى تسلل بعض الجيران وفي ايدهم اكياس يتجهون بيها الى ابواب المنزل التي يشكون بأهلها انهم لم يضحو فيضعونها هناك

وينسحبن بدون ان يسبب احراج لفقير معلنين عن تفاخرهم كما يفعل البعض .انسحب وهم حاملون قطعة من سعادة قدموها لخيرهم بنية خفية ليحملوا مثلها من طمأنينة وسعادة كبيرة .

سويعات حتى ارا الجيران مرة تانية يبدلنا فيما بينهم اكاس اخرى وكأن تلك الأضحى المتفرقة اصبحت واحدة .

طوال اليوم كنا نستقبل زوار مختلفة جيران وعائلة ،طوال اليوم والمنزل لم يخلو كان بينهم اوجه اعرفها وجوه لم ارها قط ..في يوم العيد الكل حبيب والعدو صديق في يوم العيد تنزل ستائر الكره والحقد ونرفع ستائر الود وصلة .

فتيات من عمري اجتمعنا حولي اثناء غروب شمس بالسطح كنا نتسامر تارة ونشاهد مراسم الاحتفال بالأسفل ترة اخرى وحينا انسدل اليل ستاره *وأضاءت النجوم بالسماء كان عرض اطلاق* الالعاب نارية والإضاءة الخافة قد جدب الانتباه اضافة الى رقصات والأهازيج المختلفة استمر الوضع الى منتصف ليل ليخلد بعدها الجميع للنوم وكأن الجمع منهك وتختفي كل تلك الاصوات بعد ذلك لتبقى اصوات نباح الكلاب المزعجة وحدها.

ضياع وتشرد

اختناق بصدري ،كتلة سوداء على قلبي لست هذه الحياة التي أردها لزلت اشعر بضياع شديد .

لدا قررت الرحيل بعت رسالة لأخي عمر ابلغه بما اشعر فلم يبدي اي اعتراض كل ما اخبرني به انه سواسي جدتي في غيابي التي لم اخبرها عن قراري وكأني اخشى مواجهتها ،رأتني الخالة الفردوس الملم بعض الاشياء في حقبة الضهر سألتني هل رحلت ستدوم طويلا ،لم اجيد أجابت لأني انا نفسي لا أعلم الي اين سأجد راحتي والحياة التي ستنقدني من ضياعي .كما أني لم استغرب سؤالها فجأة هكذا لأنها الوحدة التي كنت أبوح لها بأسرار طيلة سنتين التي قضيتها هنا كانت ملجأ في وحدتي وحافظة اسراري حينما يشتد بي الحزن وتضيق بي غرفتي .ما كانت تعترض هي الاخرة بمغادرتي كل ما فعلت انها قدمت لي ربطة راس جديدة لأخفي بها ندوب على جبيني واخبرتني ان شعرت بالوحدة اتذكرها بها لأضيعها ابدا .

حملت حقبتي والتفت للأخر مرة الى تلك الغرفة الصغيرة والتي دفنت بها نفسي طوال سنتين لم اغادرها *قط إلى في* المناسبات او الخروج من أجل شيء ضروري .

كان ذلك السرير بمثابة داء للاكتئاب ،وتلك التلفاز وذلك الحاسوب بمثابة رفقاء ارفه بيهم عن نفسي ،اما الاصدقاء الاقرب الى قلب

كانوا أولئك الكتب الموضوعة على رف ،وهاهم ينظرون إلى الان بحزن على فرقنا ،او ربما يودعنني ويتمنون لي ان أجد ما ابحت عنه ،ان أجد جوابا الذي لم أعثر عليه بحوزتهم .

قبلت راس الخالة وغلقت الباب خلفي لأريد ان التفت من الان الى الخلف لأريد ان ادير رأسي فأجد رؤوس ترقبني من نوافذ ،لأريد ان التفت لأجد دموع وكأنها تطلب مني العودة انا لأريد العودة ربما الان، كل ما أريده هو اغلق دفاتر الحساب القديمة ،وفتح صفحات جديدة بحياتي ..لذلك كان عليا ان أقابل رشيد كان عليا أن أطمئنا لحاله ففي نهاية المطاف هو أبى

""مضى وقت طويلا لم أراك فيه"" تلفظت بتلك العبارة حينما رأيت شيخ عمر يخرج من بيته المقابل لبيت ابي

_عفوا من أنت " كانت علامة الاستغراب بدية على وجهه

_هذه انا يا عم عمر لا يبدو انني مظهري تغير كثيرا لدرجة أنك لم تعرفني

_ابنتي ليلى انا سعد برؤيتك واعذرني فقد تغيرت كثيرا !

كان شيخ عمر إمام المسجد وصاحب الفضل عليا وعلى إخواني حتى اصبحنا ما نحن عليه الان لو لم يكون هو لا كنا الان نشبه راشيد ،ربما احدنا سيكون داخل السجن والاخر مدمن على الكحول

متله .لكن وجود شيخ عمر بجانبنا من بدئنا نتلفظ بالكلمات كان له اثر إيجابيا علينا .

_لابأس يا عمر أن كانت ذكرتك اصبحت ضعيفة لكن ماذا عن زيارتي ؟لم تزرني ابدا بعد خروجي من المستشفى

_من حقك ياإبنتى فالمشاغل أربكتني ولكن كنت اتصل دوما بأخك عتمان للاطمئنان عليكم

_حقا لم يخبرني بذلك

_ربما نسى

_إذًا أسامحك يا شخنا "كان شيخ عمر عجوز في الاربعين او الخمسين من عمره كان من الذين أفنوا أعمرهم في البحت في علم الذين والغوص في بحره ،اولئك الذين سعو جاهدين لتغير من حولهم ،لم يكتفوا بما أتو من علم على أنفسهم فقط بل جاهدو لنقله عبر الاجيال ،لذا قام بفتح مدرسة لتعليم علم اصول الفقه والقواعد ،ارتدا عليها مجموعة من الشباب والصبية ،كان شخ عمر حرس كل الحرس فيما يخص هذه الامور .

نظرت اليه متسائلة ""ماذا عن رشيد ياعم عمر ؟

تنهدا حسرة وحزنا عليه "ازداد سوء على ما كان عليه

-إذًا لم يتغير الأسف

-كنت سأذهب للحديث معه لكن يبدو ان زيارتي ستستأجل للوقت اخر

-لا انه الوقت المناسب تعالى معي

اشرت اليه فتوجهت لطرق الباب بينما هو يقف بجانبي ببسمته المعتاد على وجهه مرتديا بدلته البيضاء ،وما إن فتح الباب حتى استبقتنا امرأة بلباس بيت متسائلة من نكون

-اخبرني أين راشيد ؟

-من انت؟ ولماذا تسألين عن زوجي ؟

_نرد ان نتحدث مع رشيد فلا تقف بطريقنا رجاء

وضعت يدها على جانبها وتكأة على الباب غير ابها للدي يقف خلفي مطأطأ راس يتمتم ببعض الكلمات ثم تلفظت بكلمات تتطاير منها الحدة "ليس هنا"

كنت أعلم ان راشيد بداخل لأنني اكتر من يعرف طبعه السيء ،لذا تجاوزتها وتقدمت للداخل تحت استنكارها واعترضها وما إن وقفت امامه حتى صرخت بوجهي بغطرسة "انت كيف تجرئين على اقتحام ب.....

بحركة واحدة منه قطعها وهو يحدثني " لم ارك منذ مدة يا صغيرتي "

استنكرت كلمة صغيرتي ونظرت حولي رأيت منظرا تتقزز له النفس قنينتا الخمور على طاولة ورائحة السجائر في كل مكان تنهدت بحسرة وانا أحدثه ولازلت عينيا تتطلع الى تلك الطاولة "يا للخيبة يا را شيد لم أعهدك ضعيف بهذه الحالة ثم متى كانت الخمور تدخل للمنزل ..رحمة الله من كانت تخشي ان تغرق نفسك " لم يأبه لكلماتي لكنه لذا بصمت كنت اتمنى ان أن يعتذر وان نجلس معا يحكي لي همه واحكي له قصصا لكن يبدو انه يمقت رؤيتي ، ولحظة تذكرت ذلك الواقف بالخارج ،القيت محفظة جانبا وانحنيت اجمع تلك السجائر والقنينتان من على طولة وانا أهمس له "الشيخ عمر يرد تحدت إليك

انتفض على اتر تلك الكلمات شاحب الوجه وكأنني ذكرت له شيء مرعبا ارعبه

_لأريد رؤيته اخبره اني لست هنا

_فات الاوان على ذلك " ما كدت انهي عبارتي حتى فتحت الباب له تقدم شيخ عمر باستحياء للداخل ففزع راشيد لرؤيته وكأنه يرى ملك الموت على هيئته

ابتسمت بمكر له وكأنني اخبره اشياء فهمها هو حسب رغبته ،لكن ما كنت اقصد انا وكأنني أقول له ""الم تخجل بعد من نفسك تخاف

من رجل صالح يشع النور من وجهه ولا تخاف من ربك القادر على قبض روحك بمكانك "

نطق الشيخ مكسرا ذلك الصمت "راشيد نرد ان نتحدث عن انفراد لو سمحت " على كلامته تلك امتدت يدي لتسحب زوجته التي كانت واقفة تتابع بنظرها الوضع متوجهين الى مطبخ تركين ابى في فزعه وخوفه مع العم عمر لعه يعده لصوابه او يرعبه حتى يتوقف قلبه عن النبض ليرحل من الحياة التي افسد متعتها على الناس المحطين به ويرح بالهم من الخوف الذي يعشون فيه .صرخت زوجة ابى في وجهى "من انت وكيف تجرئين على فعل ذلك ؟"اغلقت الباب حتى لا يرتفع صوتها كثيرا وتوجهت الى حنفية المياه غير ابها لها فتبدو انها لا تعرف من هو ابى ومن نحن وما هو وضعه الحالي؟

"ان اتحدت اليك لتتجاهلني "

نظرت اليها بطرف عيني "الم يخبرك راشيد عنه "

"وما شأنك انت"

"يبدو كذلك انا ليلى جهاد وابنت راشيد جهاد " صمت قليلا تتقبل الصدمة وكأنني افرغت على رأسها دلو ماء

لم أكترث لها واستمرت قائلات وانا افرغ محتوى القنينة " يبدو انك لا تعرفين انه مدمين القمار وشرطي سابق

_اعلم

_لكن لا تعلمين انه استغل وضيفة الشرطة بالعلاقات الخاصة اي انه كان يستغل وظفته من اجل صفقات التي تنتج اموالا غير قانونية بمعني اخر هو خائن لوطنه وعار علبه

_لم يعود كذلك

_اجل فقد حرمة من وضفته بعد مكوته في سجن قربة عشر سنوات

_لأعلم هذا ! ولماذا ؟

_ بسبب استغلاله لوظفته كرجل قانون لتقوية على ضعفاء وسلب اموالهم مدعيا انها فواتر

من اجل القمار

_ولماذا تخبرني بهذا

_لأنك ساذجة وغبية تم إن ا حمل اسمه

_إذًا تخجلين من ذلك

_كلا أنا احمل اسمه لأنه ابى ولست ملمة على افعاله في الماضي فأنا أنا وهو هو ولكل واحد منا شخصيته تم انت كيف تسمحين له بشرب ذلك السم وادخله الى المنزل ألا تخجلين """

_وما العيب في ذلك انا تقبلته كما هو لم افرض عليه قيودا كما تحولن ان تفعلوا. فرغت كل تلك زجاجات التي اخدتها من امامه وبدأت البحت عن اخريات في المطبخ لأهمس لها ""ليس العيب ان تفرض قيودا ان كان الامر سيصلحه لكن العيب ان تتمدين في تشجعه بحجة واهنة متل التي قدمتها لي فيصبح حكرا ليس على مجتمعه فقط بل عليك كذلك .

صمت تقيل حل عليها لم تتكلم لكن كانت تنظر اليا وانا ابحت في كل مكان

_أين هما؟

_ ماذا؟

_الخمور الإضافية فأنا أعلم ان راشيد لن يكتفي باثنتين تم انها ذات قمة عالية هل ربح صفقة القمار أم عاد لعادته السيئة ؟

لم تجب لكنها اشارة على تلاجه وهي تقول ""سيقتلك أو سيقتلني إن سمع بذلك

فتحت تلاجه لأجد قنينتين اضافيتين من العبار الثقل وواحدة عادية اخدتهم لأغادر

_لا تقلقي عليا بل اقلق على نفسك

وما إن خرجت حتى وجدت وجه ابى يتصبب عرقا ويبدو انني لو تأخرت قليلا لانفجرت عروق دمائه من شدة الخوف

_هل انتهت يا شخنا

_نعم يا ابنتي انتهى الكلام لهذا اليوم

انحنت على ابى لأهمس في اذنه قائلات ""اتمنى ان تتوب وتعود لصوابك قبل ان يحضر ملك الموت الحقيقي ويقبض روحك في موضعك بدل من حضور العم عمر "عبارتي كانت كافية لتزيد من حرق اعصابه وخوفه كانت كفلة لرفع ضغطه

ما إن خرجت رفقة الشيخ حتى مدت له بالقنينتين نظرا اليا بدهشة وهو يردد عبارات الحوقلة عدة مرات

ابتسمت على نقاء روحه فأردت المزاح قليلا

"لا يا شخ عمر انا طلبت منك ان تساعدني في افراغهم لا كي تنظرا لي هكذا وكأنى انا جلبهم"

_لا حولة و لا قوة الى بالله ،الله يهدي ابوك يا ابنتي

وعلى نظرات راشيد كنت افرغ محتوى القنينة بالأرض وارمى بزجاجة في سلة المهملات وما إن انتهت حتى رفعت راسي وانا اصرخ كالمجنونة لفت صراخي الجيران ومن حولي قائلات "راشيد اني ذاهبة في رحلة طويلة ربما اجد في طريقي من هم متل

العم عمر مرائك اتريد ان تأتى معي " كنت اعلم الاجابة المسبقة لكن اردت ان اتأكد لا غير تبعت قائلات ""وربما اجد في طريق من يقلنا الى زيارة ابدية في الاعلى "

كان ينظر الى من نافذة وماهي الى لحظة حتى أغلقها في وجهي ابتسمت على ردة فعله المتوقعة لأتبع محدثتا شيخ عمر"" واصل زيارته ياعم عمر واصل و لا تتوقف ابدا "

_اعدك بذلك فإن لزال يملك ضميرا ليوقظه سيتوقف عن افعله

نقاء عمر وطيبته لم يفهم ما اقصده من ذلك غير ابى لكنه وعدني وعد رجل وامام يحمل مسؤولة لصدق طفولته وشخص من حيه .

لم اسأل العم عمربتفاصل التي حدت لكن قلت مودعتا ايه

_اراك فيما بعد ياعم عمر واتمنى حينما اعود اجد راشيد مختلف ولو قليلا اعتمد عليك "

_ومتى ستعودين

_لا أعلم فأنا اشعر بضياع

_اتمنى ان تجد ضلتك يا ابنتي

_ اتمنى ياعم ...

وما إن غادرت حتى تسللت دموع على خدي تأبى التوقف ،لعله الحزن العمق ولعل قلبي انفطر علة حال ابى ، او ربما على عدم قدرتي على تغير شيء متل العم عمر

تركت للدموع العنان تنهمر حاملات معها كل كليل اسود تركتها لعلها تشفى الوحدة التي اشعر بها ،لعلها تخفف ضيق

كانت الجدران الشوارع تقدفني من جدار الى أخر وكأنني جسد بدون روح وكأنني دمية لديها القدرة على استحمال ألم الغير

حتى تعب جسدي واسدل الظلام ستاره فلم اجد لي مأوى غير ان أجت على ركبتي تحت قنطرة اختفي اسفلها من اللصوص والشر الذي يحم بليل

اشتدا البرد فشعرت ان جسدي يكاد يتجمد ،أخرجت من حقبتي سترة كانت لأخي عتمان لدفيء بها نفسى ،سمعت انينا خافتا على مقربة منى كان ظلام يمنعني من رؤية ، قلب يكد يقفز امامي من شدة الرعب ،بحت بين أغراضي بحت وبحت الى ان وجدت مصباح يدوي وجهته الى مكان صوت وما إن اشعلته حتى اثنى الصوت من نفس المصدر

_اطفئ ذلك الشيء سترصدنا الشرطة او أحد السكار الشوارع

_من انت اكشف عن نفسك

_ولما سؤال ونحن نشترك نفس المكان كلنا اصبحنا من شارع

اعدت سؤال غير مكترث للإجابة ناست انى انا من تطفل على ملجأه

_عرف نفسك

_اللعنة انت مزعجة لقد اخبرتك ان تطفئ ذلك الضوء لا انوى إدائك

تقدم خطوات فكان طفالا يبدو في سن العاشرة ظنته بالأول ضائع

_ولماذا انت خائف منه؟

_ ايتها المغفلة انك بمكان عام تتجول فيه شرطة ليلا وضوئك داك سيجدبهم الينا هل تودين ان تقضي عمرك خلف القضبان

_انا لست مجرمة او لصة لتمسكني شرطة

_ولكن انا كذلك

اطفئت النور مستغربة من قوله

_ما الذي تعنه

_ ولما سؤال

_فضول احكي لي من فضلك

_ ولماذا انا لا اعرفك حتى

_ربما لأننا متشبهان غرباء مجهولين الهوية اجتمعوا تحت قنطرة

_ أنا لست لي هوية من الاساس لص خرج من بين لصوص ،انتشل اموال الاخرين وحاجتهم بالقوة تارة ،واشحت تارة اخرى ارفق رفقاء السوء لست شابا مسالما قط إذًا فلماذا أحكي لغربة عن حالي أو كيف قدفت بي الدنيا الى ما أن عليه

_ ربما نحن متشابهان في ضياع على الاقل

_ هل ليس لك مكان وهل لا يوجد من ينتظرك

_وهل انت يوجد لك من ينتظرك

_ لو كان ما وجدتني قابع هنا اسفل القنطرة مكاني الوحيد هو الشارع

_لا تفكر في تغير

_ بلا أتمنى ان اهاجر الى بلدان الاربية حيت هناك الحياة

_وكيف عرفت

_ أخبرني صديقي بذلك فأصبحت احلم لعلني اغير حالي

_وهل ترى الحياة سيئة لدرجة انك تفكر بالمغادرة

_سيئة كلمة يتفوه بها مثلك اما نحن فنقول انها سوداء لأنها كذلك كل ما نرده غطاء يقنا البرد وطعما يسد جوعنا تم ملجأ نلتجئ اليه من ترصد الذئاب

_ماذا تقصد بذئاب

_اشخاص يحتلون المركز الاخير في تصنف مدمنين عن المخدرات مجرمين ولصوص خطرون كل من خرج للشارع بإرادته او حتما عليه يصبح ذئبا يفترس الناس اسئلتك كثيرة يبدو انك لم تعش في شارع من قبل

_ربما ثم اني اشعر بالبرد ألم يتجمد جسدك انت بعد فأرك مرتديا ملابس صيفة

_ جسدي معتاد على ذلك

يبدو ان الحياة كانت سوداء عليه كما قال لتلقى بطفل مثله في شارع وتجعله بين ليلة وضحها دئب صغير بين الذئاب التي تحدت عنها .كان القمر قد توسط السماء وانر الأرض بضوء خافت معلنا عن منتصف اليل رفع طفل رأسه اليا قائلا

_وانت ما الذي تفعله هنا

_ أبحت عن جواب لضياعي

_هل انت مجنونة

_لماذا قولت ذلك

_هذا ما بدا لي مجنونة وسط شارع

لم اعر سخريته اهتماما وحينما رأيته يقف سألته

_الى أين

_ سألتقى ببعض الاصدقاء

_اصدقاء..!

_اجل ذئاب الشارع هل تودين المجيء رغما اني لا أنصحك بذلك

_كلا

_إذًا حاولي ان تبتعدي عن هذا المكان

_سأفعل ودعا

_وداعا

بعدا تفكر الى اين اذهب وجدت سيارة بضائع

تسللت لها ورقدت اتطلع الى سماء افكر أن كان دفئ يخفف ضيق لما تركت بيت جدتي .لكن هؤلاء مختلفون يتمنون الحياة التي تركتها خلفي

يحلمون ان يغادر وطنهم بحتين هناك عن سبب للعيش

اما انا فماذا اريد؟ ما الشيء الذي أحول أن افر منه ؟

ان الحياة تشبه الجحيم لأولئك الاطفال الذين وجدو انفسهم بشارع يحربون من اجل العيش ينهبون ،يسرقون أملاك الغير ويتصدون لذئاب بأجسادهم الهزيلة .

إذًا اين الجمعيات لحماية الاطفال واين مؤسسة الميتم ؟

حقا الوضع كما يقول العم العمر ان اليد التي تمتد للغير قصيرة لكن مع كثرت الايادي تصبح أجنحة .

ربما لو كان العالم كله متل تفكر شيخ عمر لأصبحنا كلنا اجنحة لجميع الاطفال !

في بعض الاحيان اتسأل أن كنا كلنا رعون وكل منا مسؤول عن راعيته فمن الراعي لرعية مات رعيها او تخل عنها هل ستترك للذئاب تنهشها .؟ كما هو الحال اطفال شوارع هما ليس علة على الوطن لأنهم اجبر ان يكون على ذلك الحال لكن العلة هي وجودهم في شارع . كل شخص يفكر بنفسه كل شخص ابحر في اننته حتى تجاوز الحد وترك كل واحد منهم على حاله هناك العديد من الناس لكن القليل من يحمل المسؤولة كفئ بأمانته

و اولئك العديم المسؤولة ارهم وكأنهم هم من راود تلك الذئاب الى أن اصبحت الفة تم قدفوا بها في شارع لتكشف لتفرج عن أنيابها .....

مرود الأفاعي

توقفت السيارة بمكان ما نظرت من حولي فوجدت نفسي وسط سوق في منطقة ما، لم افكر متى وحركت السيارة ليلة امس ،لكن كل ما فكرت به هو ان الاوان لنزول عنها قبل أن يأتي احد فأسمع من تهم ما لا طاقة لي على تحمله ..

صراخ الباعة يرتفع من هنا وهناك الكل يعرض بضعته بصراخ ،السوق مزدحم وانا ادور بكل مكان بدون هدف او اتجاه ، كل ما أفعله هو تفحص كل شيء من حولي لعل القدر يضئ ظلمتي ويجبر بوحدتي ويضم شتاتي .

فجأة لحظت مرود الافاعي يجتمع حوله الناس ،كان الامر متير الاهتمام اقتربت اكتر فإدا بي ارا افعى رمادية تتراقص على انغام الناي تتمايل تارة وترفع رأسها تارة اخرى نظرت اليها وشبهتها بزوجة ابى ،فكرت ربما هي الان تتمايل على انغام رحلي ،شيء بداخلي تلقائيا الى أن وقفت بجانبها وسط الجمع كدت ان أهشم رأسها وسط اصابعي ردت فعل تلقائي .وكأن تلك الافعى برقصها تغضني

_انتبه يا مجنون سوف تلدغك .

استيقظت من شرودي على صوت المرود ،فأنا نفسي لا أعلم لما جدبت كل انضار المشاهدين الي وبعد تنبه سيد استذروا مستائين وكأنهم كان ينتظران عرض خياليا عرض تسفك في دماء الافعى بعدما لدغتني عدة لدغات لأستلقيه على الارض بجانبها تم يشهدون السم ينتشر ببطء في كل جسدي ليخرج بعدها لعاب ابيض من فمي واصل وقتها مرحلة الاحتضار ،ضحكت على خيالي وافكار التي راودتني ،حمدلله أن شيء من هذا لم يحدث

_لقد افسدت عرضي على ماذا تضحك أخبرني

كانت كلمات سيد عيسى كما عرفته لحقا تنهال علي لم أكثرت لمحاذته تلك وكأن يحدث صبيا لاوجود له ولم انتبه لتأنبه فبادرته بسؤال لماذا لا تخش انت الافاعي

_أنا مجدوب

نظرت اليه نظرات توحي على عدم الفهم

_انا مجدوب لا أخاف سمها بل أنا مدمن عليه ،ادوس على شوك صباري حافية القدمين التهم زجاج ،أعيش وسط الافاعي واصطاد العقارب .

شعرت بقشعريرة تسري في جسدي ربما لأنني اول مرة اسمع هذا

_ولماذا لا تقوم بشيء اخر

_لا أستطع انها حرفة توارت عبر الاجداد الى ان وصلت إلى من الحلقة نعش ولا نعرف سوى الحلقة نقدم عرضا يلق بمورثنا لينال اعجاب الناس وها أنت افسدت العرض عليا حتى قبل بدايته

كان عيسى في الخمسين من عمره يرتدي جلبا بنى اللون ويضع على رأسه قبعة قشية تقه الحر كانت ملمحه لطيفة تدعى الاطمئنان ،عينان صغارتين لحية بيضاء مهندمة تحيط بوجهه ،تم ابتسامته التي تكشف عن اسنان منفرجة ،نحيم الجسم متوسط القامة ..

كنت انظر اليه واشعر بدنب تجهه ربما لأنى افسدت عرضه كما يقول او أنى أتساءل عن الحياة التي قدته وسط الخطر .لحظة وطرأت في دهني فكرة مجنونة التفت اليه بحماس

_اعزف يا..

_عسى ....ولأضن ان الامر يحتاج فقد تفرق الحشد

_ياسيدي استمر في العزف واترك الأمر لأصحاب دوق العال

نظرا ألي باستغراب لكنه انحنى على قصبته يعزف على اقاع وصل الى الافعى لتستيقظ من سباتها وتخرج رأسها من صندوق بتمايل انتظرت الى ان انتظمت حركات الافعى مع الإيقاعي لأدخل الى ساحة بحركة بهلوانية دائرية أثارت الاعجاب فبدأ الناس تجتمع من حولنا من جديد ،انتبه العجوز ان تلك الحركات البهلوانية لا تتلاءم مع العزف فغير المقطوعة مباشرة تزمنا مع حركت الوقف على

اليدين كما خرجت افعى اخرى على الايقاع من الصندوق لترقص بشكل مختلف

ادهش الحاضرون مما دفعهم يخرجون أوراقا مالية تبتدأ قمتها بأقل مبلغ لتصعد وتستمر في الارتفاع ، كما كان صوت اصدار القروش المالية روعة مختلفة شعرت بها انا وذلك العجوز ليخفف ارتباكي واحسن جيدا في حركاتي الوي لطالما كنت اقف امام تلفاز مقلدتا أيها .

بعدا مدة قصيرة كان قد تفرق السوق وانتهى عرضنا وسعد العجوز بما أوتيا له من مال فرفع كفيه حمد شكرا لله على فضله .

ابتسمت له وقلت هنيئا لك وما إن انهت عبارتي حتى بادرني بالقول

هنيئا لنا فإنك صاحب العرض بالأصل "تم مدا لي بما يفوق نصف المبلغ رفضت ليس تكبرا ولكن لأنى لاحتاجه حاليا كما إني ولسبب ما شعور اخبرني انه في حاجة اليه اكتر منى .

_ستسعد زوجتي اليوم

_حقا مع امتناني لها دوام سعادة

_نعم الحمد لله هذا من فضله ..اين تسكن انت

تنحنحت لأنظف حنجرتي ،بل لأحدد فكرة برأسي كجواب على سؤاله "انا ضيفة بهذه المنطقة مؤقتا "

_حقا ما رأيك بإكرام الضيف عزمه على قضاء ايامه المؤقت وسط اسرتي. لقد أخجلني هذا العجوز بإكرامه وكأن الله بعته لي كالاستجابة لدعائي

_سأكون شاكرة لك حنها

_انتظرني لحظة

غاب عن نظري قليلا ليعود وفي يده اكياس ثم توجه الى قائلا

_أتعلمين لذيا بنت في سنك ربما الان تنتظر عودتي تفضلي ،وكأن الله أكرمني بك.

ما الذي يقوله هذا العجوز فأنا من كنت اقول هذا الكلام عنه قبل قليل ،وفي طريقنا كان يتحدث عن مشوار حياته وانه يأتي كل سوق ليقوم بعرضه وذلك ليخفف ألمه وينسي حزنه فقد تحولت الحرفة المعاش الى حب يلجأ له بين الفينة والاخرى لكي ينسي وينظف قلبه من ألم الحياة، أخبرني العجوز انه في شبابه لم يكون يكف عن اقامة حلقة واحدة في المنطقة لكن والان لقد اصبح عجوزا يكتفي بسوق الذي يقام كل اسبوع بجواره وباقي الايام يقضها في العناية بقطعة الارض والحيوانات التي يملكها .

كان حديته عن نفسه انساه أمرى لكن الامر لم يطول كثيرا ..

ما إن فتح باب منزله الجديد حتى توارت الى انفي روائح البخور الطيبة وسمعت صوت عذب يتلو القراءن تلاوة تقشعر لها الابدان وتبكي لها القلوب البعيدة عن ذكر الرحمان ،تقدم عيسى امامي وهو ما زال يتلفظ بكلمة ترحيب

كان المنزل هادئ تقلدي بالوسط تفترس زربية زرقاء تعرجها خطوط ملونة

توضع فوقها عدة وسائد بترتيب توسطهم مائدة من الخشب العراعر، الألوان الجدار مميزة تنقسم الى جزئيين جزء علوي ابيض والجزء السفلي ازرق السماوي

وبإحدى الجوانب كانت تجلس فتاة شقراء تنظر الى الاعلى مبتسمة ،رفعت نظري الى حيت تنظر لم يكون هناك شيء مميز ،حتني العجوز عيس على الجلوس تم غاب عن نظري التفت الى تلك الشقراء التي توقفت عن تلاوة فور جلوس بجانبها لتتحدث بصوت هادئ

_اهلا بضفتنا انا زهراء سررت بلقائك

_شكرا وانا ليلى تشرفت بمعرفتك

_من خلال صوتك تبدين في مقتبل العمر

أ تعلمين ان اسمك جميل .

نظرت اليها باستغراب لماذا تحدتني هكذا وكأنها تتحش النظر الي

_واسمك كذلك...ثم لماذا لا تنظرين الى مباشرة الأ تعلمين انك تغضبين المرء بتلك الحركات .

صمتت قليلا لتنفجر بعدها ضاحكتا وكأنني ألقيت مزحة من نوع ما

_يبدو انك سريعة الغضب احيانا وبارد كالثلج احيانا

_انا لم أقول شيء مضحكا

ابتسمت بهدوء وقالت انا اسفة فأنا لأستطيع ان أنظر اليك

_لماذا انا لأشبه شيطان بتاتا

ما إن انهت عبارتي حتى عادت تضحك من جديد وعلى صوت ضحكاتها ابتسمت لكن سرعان تبددت ابتسامتي حين قالت

_انا فتاة عمياء لا أستطع ان اراك حتى او نظرت اليك تم ان امتلك حدسا قويا وحدسي اخبرني انك فتاة لطيفة .

شعرت وكأن ماء بارد افرغ على رأسي لا اعلم لماذا شعرت بخجل بمجرد النظر اليها وكأنني اشفق على حالها ،نفت تلك الافكار فزهراء لم تراني لكنها لا تستحق الشفقة ،ربما لسبب ما فقدت بصرها ،لا يعني انها تحتاج شفقتي ،فانا اذكر ان بعض ضررين لهم قدرات خاصة وكأن بفقدانهم حاسة البصر عوض بحواس

اخرى اشد قوة ،تأملت وجهها كانت كأبة ربما لأنها وحيدة كان عليا قول شيء لأكسر ذلك الصمت لكن ماذا عليا القول فهذا الموقف

_اخبرني يا زهراء سمعت قبل دخول صوت تلاوة القراءن اكنتي مصدرها ؟

_أجل فأنا حافظة لكتاب الله

_كيف

_عن طريق السمع .صمتت قليلا لتتابع "ا تعلمين لقد ارتحت لوجودك فلنصبح صدقتين

_اتمنى ذلك لكن فترة مكوتي لن تطول

_وماذا في ذلك ان لا وقت محدد لصدقات

_إذًا لن امانع

بعد ذلك فهمت من زهراء انها ولدت فقدة للبصر كانت امنتها ان ترى وجه ولديها ولو لي مرة واحدة ليس مستحلا لكنها كان عليها الانتظار لبعض الوقت ،في الوقت الذي كنا نتحدث فيه عاد عيسى نظرا الينا بنظرات تساؤل ،لم اقول شيء له تركته يصغي موقفه بما يشاء .

_لقد تأخرت يا أبي

تحدت زهراء بعدما شعرت بوجده

_ربما قليلا لقد كنت اطعم الافاعي

ما إن ذكر ذلك حتى سرحت بخيالي تخيلته وسط الافاعي لا اعلم عددها تنهش جسده او ربما تلحقه لتدخل الى مكان جلوسنا لتشاركنا الاحاديث ،لحظ عيسى شرودي ليتحدث قائلا

_يبدو ان ابنتي ازعجتك

_كلا لم افعل يابى انها فتاة هادئة "انقدتني زهراء من موقف محرج جدا نظرت اليها بمثنان وانا اللعن خيالي

كان عيسى يتأمل ابتسامة زهراء وكأن هذه الاخيرة تكشف عن ما بداخلها وكأنها تقول له انظر يا أبي ان قلبي يترقص سعادة الان بوجد صديقة قريبة مني اشكو لها مالا استطيع البوح بيه لكما ليتابع عسى كلامه

""مضى وقت طويل لم تبتسم فيه زهراء اليس كذلك يا شما "لفض بالاسم الاخير وهو ينظر الى امرأة سمينة قليلا ذات وجه ابيض متوردة الخدود بذقنها علامة الوشم الأمازيغي وكأنه نزع بالقوة ليترك اثرا جميلا بوجهها البشوش ،تفصل بين مكان جلسنا ومكان وقفها نافدة صغير ،ردت من خلالها "بلى يا سيد عسى لو أنك تأخرت قليلا لا كانت ابنتي تتحدث كثيرا وتضحك كما لم تضحك من قبل يبدو انك احضرت من يشبهها في الروح "تابع عيسى كلامها وهو ينقل بصره بيننا تم رفع كفيه الى الاعلى شكرا ،بينما

انا لم يلفت انتباهي غير كلمة سيد انحنت على زهراء هامسة من هذه المرأة

_انها أمي

_إذًا هي زوجة عيسى ولماذا تنده بسيدي

_ان امي ذات اصول امازيغ لذا تستحي ان تنده بعيس فقط امام الغرباء او الضيوف وتنده بسيدي .

اقبلت شما الينا وبيدها صينة كبيرة بيها شاي وبعض الحلويات المختلفة وضعتهم على المائدة تم تسألت بينما تملأ الأكؤس الحيط به

_اخبرنا عنك هل لك أحد هنا

_كلا جئت زيارة وليس لي فرد يقطن هنا . لم اكون ارغب بالقول انها صدفة لكي لأفتح سجل لانهاية له من الأحداث استمر الحديث عني وعن الاسئلة التي اطرحها عنهم فيما يخص زهراء وهم ،وعند الحديث الاسري كنت التزم الصمت وبحديث جماعي كنت اشارك .هكذا حتى استمر الحديث حتى اننا لم نشعر بمرور الوقت وحتى تعبت العيون من المقاومة النوم وانهكت الاجساد مستغيثتا بصمت ...

وفي اليوم التالي استقضت شما على صياح الديوك ،خرجت الى الخارج تكسر الحطب لتعود به الى داخل اشعلت الموقد وضعت عليه قِدرا ماء لتعود بعد ذلك تهمس يصوت منخفض مناديه عن تلك الشقراء الغارقة في عالم الاحلام ،بعدا نداءات متعدد بالألفاظ بالأمازيغية مختلط بالألفاظ عربية عامة ،مدت الاخرى يدها في الهواء بعد ان انتبهت باحث عن المنادي التقطتهم شما مساعدة ايها على الوقف سألتهم الى إين

اجابت شما ان الجو رطب ربما ستسحب الرياح معها تساقطات الامطار ،سنذهب لجلب بعض الحطب الاضافي

_وما ذا في ذلك انه صباح

_كلا ليس كذلك

_إذًا انتظراني سأذهب معكم

_لابأس في ذلك ..؟

_اجل

كان على شما ان تقطع مسافة طويلة بين الجبال للبحت عن اغصان اليابسة وجدور الاشجار الجافة كنت اتقدم زهراء التي تضع رحة يدها على كتفي ،بينما ارقب شما تذهب هنا وهناك تكسر بعض الاغصان من اشجار اللوز والاركان الموجودة على ضفاف الجبل

الي ان جمعت الحطب الكافي وما يزد عن ذلك ،كانت شما امرأة قوية وضعت الحزمة على رأسها وتوجهت عائذة بها غير ابه للأحجار التي تعترض طريقها و لا صعوبة المشي على المنحنيات الجبال الوعرة

وفي طريق بدت سماء تمطر نقط مستقرة ليتبعها سيول من تساقطات حينها تأكدت ان شما تمتلك مميزات ملاحة ماهرة وان حدسها لا يقل عن حدس ابنتها التفت شما الينا وتنادي بصوت مرتفع """اسرعوا سنتبلل ان بقنا هنا "وجهت نظري الى زهراء التي ضمت يدها اليها فور ان شعرت بالبرد كانت ترتدي ملابس رقيقة لن تقها البرد والمطر

فما كان عليا سوى ان انزع سترتي واقدمها لها ،ارتدتها للتمسك بي مجددا انحت على اذنها مزحتا ايها

_ان شعرت بدفيء فتذكري انها لأخي ربما سيكون سعدا ذلك الوغد ان علم ان سترته ترتدها فتاة شقراء

ابتسمت وهي تحدرني من ان تسمعني امها ،كانت الارض تسير عليها سول المياه وكأنها انهار ،احببت المنظر جدا اخبرت شما برغبتي في البقاء قليل لكنها صرخة بوجهي معترضتا تتلفظ بالأمازيغية " ستمرضين ايتها المجنونة هيا تقدمي امامي حالا"

ابتسمت رغما عني تذكرت امي وهي تركض خلفي في فصل شتاء من اجل تلبسني سترتي خوفا من ان اصاب بزكام ،نظرت اليها وانا اشير الى نفسي متفاخرة "لا تقلقي فانا لذيا مناعة قوية ضد الامراض لن انهار بسهولة "ومإن انهيت عبارتي حتى تقدمت زهراء تطلب نفس الشيء ،مجنونة تأثرت بمجنونة ومع اصرارينا وفقت شما بالنهاية شريطة ان لا تتأخر في العودة .

من العاقل الذي سنفد شرطها بصدر رحب بيننا

همست لزهراء "انوي صعود قمة الجبل لكن سعادتي تبددت مع طلب امك "

ردت بحماس وكأنها كانت تفكر بنفس شيء

_لنصعده تم لا تنسي انك عينيا احسن الوصف

_لا تقلقي من هذه الجهة لكن جهز نفسك لشتائم المتعدد عند العودة

_وانت ايضا

_انا لافهم الأمازيغية كثيرا

ضحكت حتى كشفت عينها عن حفر الجمال المحيطة بها وهي تتمتم لن اترك عقلك الصغير ان يتخيل اشياء تحرف ما ستسمعنه معي

واثناء تسلينا بين الجبال لنكتشف طريقا امين وسلسة لصعود سألتها عن عيسي لما لا يقوم هو بجلب الحطب والاعمال شاقة التي تقوم بيها شما

ابتسمت وقالت "كل منها يقوم بدوره وما كان ابي كسولا يوما لقد استيقظ قبلها متجها الى تلك القطعة الارض التي يمتلكها اسفل الجبل ليقوم بحرتها وتقلبها عن طريق المعول .

لقد كان عيسى وزوجته يقطنان على بعد كلو مترات من منطقة امنتانوت . منطقة حشرت بين المناطق الاخرى صغيرة وكأنها حصي لكنها دافئة تشعرك بالأمان ربما لباسطتها او الوجه البشوشة التي صدفتها كل شيء له وقع خاص ترسخ في قلب وما إن صعدت انا وزهراء لرأس الجبل حتى رأيت منظرا يأسر القلب حبا فيه بدأت اتحدت واصفة ما تراه عيوني لينطقه لسان "" زهراء نحن نقف على رأس الجبل على يميني جبل وعلى يساري جبل سلسلة الجبال متماسكة وبين كل جبل وجبل توجد على منحنه منازل صغيرة مرتبطة ببعضها البعض مشكلات حلقة صغيرة تتخللها بعض الفتحات مشكلة طريقا غير قابل لمرور الشاحنات والحافلات لكنه يسمح بمرور السيارات على الاقل

اعلى تلك المنزل تنتشر اشجار الزيتون والاركان واشجار الوز ينصب بينهما اودية المياه ناتجة عن تساقطات الكتيفة بشكل عمودي

متجهة الى وادي متوسط الحجم يقبع بالأسفل تحط بيه قطع من الاراضي القابلة لزراعة متفرقة ارى عليها اناس يغيرون اتجه النهر لها

وعلى مسافة بعيدة ارى مدخل على جبل الذي امامنا تبدو ككهف يا لثني استطع ان اره ما بدخلها ..

وفجأة تذكرت انى لست وحدة هنا وقد نست امر زهراء التي ابتعدت عن الاخرة بمسافة قصيرة نست انها معي لو استمرت في سير بعدا لوحدها لوقعت كنت اود ان اعتذر لكنها استبقتني الحديث قائلات "اشكرك

_على ماذا

_لقد تخيلت كل ركن وكأنني اره لقد وصلتني مشاعرك شعرت بنفسي وكأنني ارا عالما غير سواد الدي اره دائما .

هذه الفتاة طيبة جدا اتمنى ان ترى حقا وان تشهد عينها جمال الارض وان تتأمل شروق شمس وغربها ونجوم شمس بليل لم أجد ما اقول لها سوى ان اطلب منها العودة فقد اشتد المطر واصبحت الارض هاشة وقوفنا على راس الجبل اصبح محاط بالخطر ...

وما إن سمعت شما صريرة الباب المرصد يفتح حتى قبلتنا في وجهنا حولت نظرها بينا فقد تأخرنا تم اننا عدنا بحالة لا يرثى لها كنت ارتعد من شدة البرد القراص عكس زهراء التي لزلت تبتسم

وكأنها تركت عقلها هناك ،لم تكلمنا شما لكنها دفعت بدنا الى الحمام الخارجي وهي تقول "إذهابا الي الاستحمام حتى أتى لكم بملابس نظيفة خبا ضني فتعمدت تأخر لأره تستشط غضبا وتشتمنا لأنها تذكرني بها التفت الى زهراء تلك الحلمة وهمست في أذنها قائلات امك تشبه الهدوء قبل العاصفة ،لحظات وجلبت شما ملابس صوفية جميلة معدلة يدويا

همست زهراء وهي تلمسهم "كل يوم تعطي امي كل وقتها بغزل الصوف وتعدل الملابس لتبعهم بسعر محدود لسكان المجاورة لنا

_وماذا عن الخيط

_اتمزح امي لا يخفي عنها ايت صنعة اليد تغزل الصوف وتخيط الاقمشة وتقوم بطرز ،الم تلاحظ ستائر ؟

كنت اعلم مسبقا انا تقوم بطرز عدة اشياء فقد شهدت مجموعة من القطع المزخرفة في الجوار لكن كلمات زهراء وافتخارها بذلك جعلني انبهر بتلك العجوز الحسناء..

في داخل وجدنا عيس جلسا في ركن من الغرفة علي يمينه صينة تحمل ابرق شاي

وعلى يساره توجد مائدة وضع عليها مجموعة صحون صغيرة تحمل كل من زيت وزبدا اضافة الى العسل والبيض وبعض الفطائر التي اعدتهم شما أثناء غيابنا كما انها لم تنسي ان تجلب موقد صغير

تضعه في الجانب الاخر من الغرفة ليضفي دفئ بهذا الفصل بالإضافة الى صفونيه البخار او البخارا كما تسمها زهراء تضع بداخلها القليل من الجمر ونوع ما من البخور دو رائحة جميلة تم تغلقها تركتا ايهم يحترقون لتصعد روائح طيبة وجميلة لتضفي دفئا لامثيل له. كنت استمتع بينهم اتحدت بحريتي معهم فلا قيودا تقيدوني ولانظرات القمع تحسرني ،امزح شما واغضب زهرا تارة استمع لخفة ضل التي يتميز بها عيسى تارة اخرى في تلك اللحظات ضحكت كما لم اضحك قط ،لكن ما هنى عليا فرقهم بعدا اسبوعين حيت قضيتها رفقة شما في غزل الصوف والحياكة ومجالسة الجيران من جهة وركض خلف راعية عيسى في الجبال واستمتع بلحنه ورقصات الافاعي من جهة اخرى ،لكن مع ذلك لزلت مصممة على سير في رحلتي ربما ستكون الاخيرة وربما ستكون البداية لشيء جديد .

على مثنى الحافلة

كان عليا بعد ان ودعت عيسي وعائلاته الرحيل لذلك اخدت اول حافلة رئتها لكن هذه المرة لم اتسلل لها ،سألني السائق الى اي وجهة ،ردت سأركب وامضي مع الحافلة

_ان وجهة الحافلة الاخيرة مدينة الجديدة

_إذًا لتأخذني اليها

رأيت في معلمه الاستغراب لكن ما الغريب من ضائع يبحث عن وجهته .استلقت بأخير وكنت أتأمل الركاب كل من هؤلاء يتمني حياة مختلفة عن واقعه كل واحد منهم له أحلام غريبة يطمح لها ولكل واحد منهم الان وجهته يتجه لها ،اصبحت اعلم الان بعدا المدة التي مكتها بمنزل عيسى وزوجته ان الواقع ليس حاجزا بين احلامنا لكن الحاجز بالأفكار التي نضعها نحن امامنا ،نستحيل مالنا القدرة على تحقيقه لنجلس بعجز نتمنى ...

لقد اخبرتني زهراء في يوم ان الامنيات كلمة تطلق على الاشياء ليست بمقدورنا تغيرها او الوصل اليها اما الحلم فهو هدف يربطنا بينا بين الاهداف الاخرى .

فكم من يتم تمنا ان تبعت روح في من فقد لينظرا اليه مرة اخرى وكم من شخص حلم ان تفترش له الارض زهورا امامه لا حجروكم من يأس رغما يأسه تمنا تغير واقعه.

وكم من حالم اشتق لعناق حلمه لكنه كان عليه الانتظار قليلا ..لكل شيء مفتاح الفرج هكذا كانت تقول شما كل صباح كانت كلمتها بمثابة وسلة تدعمها على الصبر ام بالنسبة لي فهي بمثابة امل امسكه فيبد يأسي. وضعت يدى على خدي ونظرت من خلال النافذة الحافلة الى مدى وصل بصرى لأفكر قليل ان كان العجوز عيسى يتمنى ان يطول الله بعمره كي يرى ابنته تحقق حلمها فعملة عيناها على وشك الاقتراب

فماذا ستكون امنية ابى راشيد ،لا يعقل انه يتمنى ان تمطر السماء عليه ذهبا ،لأنكر مدا حبه للمال والقمار لكن ماذا سيكون حلمه ، عسى ان استطيع ان أحدته اعرف ماهي الاحلام التي يتمسك بها ،لكن كلما فكرت به شيء كالكليل الاسود يخنقوني كان ولا زال يمنعني من الحديث اليه ربما لو اعتذر ستعود المياه الى مجارها

ماذا عساه يفعل الان ؟ هل ابتعادي عنه كن صحيحا ؟

_هل خانك

ايقظني صوت الراكبة بجواري من أفكاري سألتها مستغربتا عن الذي تتحدت عنه فأجبتني بعبارة المواساة لا أعلم هل تواسي نفسها ام تواسني

_لا تحزن فكل الرجال سيأوون خائنون غادرون .

اللعنة على هذه الفتاة من عسها تحدث هل تضنني اني خرجت من علاقة فاشلة لتو

على اي خيانة واي غدر تتحدث لم اهتم بشأنها وتركتها تتفوه بما تشاء ،تنهدت ناضرة الي من خنصر قدمي الى راسي تتفحصني وكأنها تتفحص كيسا ما لتلقى بداخله وابل من الاشياء

ابتسمت لها بهدوء والتفت الى جانب الاخر لتفاجأني بوضع يدها على ركبتي قائلات "هل أحببته"

ابعدت يدها عن ملابسي تلك الملابس التي اخترتها رفقة زهراء بعدما كنت اصف لها كل قطعة بمحل الملابس وكأنني عينها لأرتدي ما ارتديه من اختيارها، من اختيار رفقتي التي ستبصر يوما ما

""توقف عن ذلك فانا لا اعرف عما تتكلمين ليس كل شارد يفكر فيما تفكرين انت "

اجبتها لعلي اضع حاجزا بين وبين افكارها الغريبة ،بعدا صمتها ضنت انها نهاية لكن ما بدأت اعود الى أفكاري الخاصة حتى تحدت من جديد

_إذًا لما لا تنصتين إلى

اردت ان ارفض لكن بدت لي ملامحها منكسرة جدا لم اجيب فضنت صمتي جوابا لها لتبدأ في سرد قصة حزينة

لا اعلم ماذا اقول لها لكن صدقا من قال احكي لغريب عن احزنك ولا تحكي للقريب الى ما تشاء ،ربما سننفصل بعدها في اول محطة و سأذهب بأحزانها أضعها معي امام هي فستجد طمأننا لأنى غريبة وتخف اوجعها ،طيلة المدة لم اعلق ولم ابدي رأي علنا عما تقوله تحدت عن خيانة والقدر الذي شهدته من رجل احبته كثيرا فقدمت له كل اموالها ضنت انه سيبني مستقبلهما ،لكنه استغل تقيتها وطالبها بالمزيد من الاموال حتى ادينت فوقع الذين عليها كما يقع الفأس بين يدين قويتين علي قطعة خشب ضعيفة . لحظتها تذكرت شما لو رات هذه الفتاة حب عيسي لزوجته وحبها له ما كانت قضت حياتها رفقة احمق كسول يعتمد على غيره وما كانت تحكي لي هذه الحكاية التعسة عند سؤالي شما عن الحب بنسبة لها قالت ان الحب يأتي بعد عشرة يكون قد كشف فيه ستار عن الغضب وتغيرات المزاج وتقلبات كشفتم عن شخصيتكم الحقيقة لا التي تخفيها خلف القناع لا التي تظهرنها بمثالية وكأن الايام لن تكشف نقصها ، أوهام هي تعشوها هذه الفتاة أوهام هي كتب على عنوانها الحب خادع

وقد نسو ان وجدهم مع شخص الخطأ بحد ذاته خدلان لأنفسهم وها وحدة منهم تتجرع مرارة خذلنها لنفسها .تنهدت مخلصة كلامها

_هذه هي قصتي وحكايتي فأنا مكسورة اريد ان اتكلم معك عن المزيد لكن وصلت لوجهتي

ردت عليها بابتسامة رغما انى لم اكون اسمع ما قالت ولم انتبه لها الى ان توقفت الحافلة لينادي منادى معلنا عن الوجهة الاولى نزل القليل وصعد اخرون ودعتني الفتاة قائلات "اتمنى ان ارك مرة اخرى لزلت اريد ان احكي لك مزيدا ودعا

اشرت لها بيدي وفي نفسي اقول اما انا فلا أريد ملقتك مجددا لأريد المعرفة النهاية لقصتكم ..

تحركت الحافلة مجددا وأنا لا اعلم كم مكت بمقعدي فقد غلبني النوم بعد دقائق من جلوس عجوز اخرى بجواري

كنت لأزال اترصد ضجيجا خافتا ليختفي كذلك بعدها

لأعلم كم من ساعات مرت الى ان أيقظتني تلك العجوز تطلب مكان لعجوز مثلها فلم يعود هناك مكان لتجلس به اكتظت الحافلة فهناك من يقف وهناك من يضع اطفاله امامه على قدمه .وقفت وتركت مكاني المحبب لأجد نفسي اتدافع مع الواقفين كلما اهتزت الحافلة وأتميل حتى اكاد اسقط حين ما تنعرج يمينا أو يسارا

شعرت بدوار شديد ،انتبهت الى موزع تذاكر فسألته كم بقى لتتوقف الحافلة اجابني انها ستدخل محطتها الاخيرة ،شعرت براحة حين ما سمعت ذلك فلم تعود تستهويني قصص الناس هنا ولم يعود

تلفت انتبهي الأحلام المختلفة التي يعبرون بها عن بعضهم البعض مباشرة او غبر تلمح .

لقد صدق من قال ان أحلام الناس لا تنتهي

إن لم يكون هناك حلم فيعني الضياع وتشتت لك الحق في الحلم لماذا نترك حقنا ونضيع بلا هدف او مبتغى

خلف كل حلم تعرجات صعبة المنال لكنها تحتنا على الاستمرار ،ربما هنا على متني هذه الحافلة كل من الركاب يحمل حلما صغيرا وخلف ذلك الحلم الصغير أحلام كبيرة مغرية تجعله يتوه ولن يستطع ان يحدد ما يرغب به لكن لذلك متعة خاصة ومختلفة عن الملل الذي يسيرنا أن لم تكون هناك أحلام .ما إن توقفت الحافلة حتى نزل المسافرون متجهون الى وجهتهم اما أنا فكانت وجهتي احد النزول الرخيصة بمدينة الجديدة وجهني اليها احد المسافرين

وما إن استسلمت مفاتح إحدى الغرف بطابق الثاني حتى شعرت بثقل على كتفاي ربما كانت رحلة ممتعة ان كنت رفقة صدقة أو احد الافراد العائلة لكن ان كنت واحدة بدون هدف ولاتجاه فلا دعي ان اصف الفرق بين ذاك وذاك لأنه واضح اختلف كبير بين ما اصفه وأحاول ان اعشه

مدينة الجديدة

على اشعة الشمس التي تنفذ من زجاج النافذة لتداعب وجهي أستيقظ، لألب نداء المدينة بزيارة خفيفة لعلها تريح نفسيتي فأنا لست بسائحة جئت للجول بها ،ولست بمعجبة قدها الشوق اليها ، ما جئت الى عن طريق الصدفة في وقت غير مناسب لأخفية تيه أو ربما اهرب من ماضي اخشى تكرره.

لقد تركت يومي للقدر ،وقبل ان اخطو للخارج قابلة المضيفة سلمتها مفاتح الغرفة وأخبرتها بحاجتي للمكوث هنا طويلا لأدرى ان كان اسبوع أو شهرا لكن كل ما أعلمه هو الى ان يحن الوقت سأحمل حقبتي واتجه الى مكان اخر ..

أخدت قدماي الى حي البرتغالي كل ما وصف عنه صحيح ارت قديم بداخله وخارجه يوجد كل ما هو دو اتار تاريخي وحينما كنت اسير به تلطمني شوارعه من شارع الى شارع كنت اشاهد تلك الاشياء تقليدية المعلقة بأحدي البازارات زراب واونى الفخار واحدية قديمة إضافة الي تلك الانواع من القفف المختلفة الصناعة ،لفت انتباهي قبعات قشية فتذكرت الوقت الذي كان يمضه عيسى حتي يصنع واحدة جديدة ،تلك التي كان يصنعها لا تختلف عن هذه بشيء سوى ان تلك كان يصنعها لتقييه حر الشمس لا يهتم لزخرفتها او تزينها بالأشرطة كما هو حال هذه التي مهمتها جلب

سياح ، جملة تلك القبعة سواء على طبعتها او مزينة ،جميلة تلك الحقائب العتيقة والاوان الفخار والمصابيح تقليدية التي تزين مدخل البازار الكبير قدتني روعتها وأجبرتني على دخولها ،مبهرة تلك الحلى والمسابح المعروضة على احد الرفوف بداخله .كنت اسير وقلب يخفق بحماس لرؤية المزيد والمزيد ،وكأن تلك المحالات وضعت بذلك الشارع لتقول لي انسي كل شيء وشاهدني تلمسني وتذكر كل ثقافة كانت تحتويني في وقت وزمن ولا تنسى التقاليد التي كنت استخدم بها وشاهدة على تاريخي ،أما المباني امامي وكأنها تقول لي هلمي الي يامن ضاع قلبه عشقا بي لتشاهد حضارة مرا عليها تاريخ لكن لزلت صامدة اجمع اتار البرتغال والمغربي تابت أنا في عصور الاستعمار والان ،كان حي البرتغالي يختزل صفحات من الذاكرة التاريخية ،لعل ابرزها السقاة البرتغالي والتي كانت عبارة عن خزان مياه للمدينة العتيقة تجسد لثقافة الأوربية والمغربية يتمثل في الهندسة وتخطيط العمراني ،يوحي بغنا وتعدد الروافد ، ومن ما لها عدد كبير من المنزل والرياضات والمتاجر والمساجد والمعابد المختلفة كنت اسير بين هذا وذاك كالمجنونة اصبحت معجبة بعدما قدني القدر اليها ،اسوار مطلة على المحط كانت كأنها تشير لي وتطلب مني الوقف ومشاهدة البحر مع استمع الى صوت النوارس طمأنينة شعرت بها ورحة لا مثيلة لها بعدما جن جنوني من ركض في كل الانحاء . وعلى مسافة غير بعدة مني

كان يقف فتا يسجل بث مباشر ويفتخر بوجده هنا ،كان يقرا تعلق التي تطرح عليه بطريقة مزعجة ليرد بعد دقائق بكل افتخار وهو يشر لنفسه "نعم انا ناجح والناجحون دئما محاطون بمن يفسد متعتهم ويحمل في قلبه حسدا وبغضا منهم "كانت اجابته كافية لتير الاشمئزاز بنفسي واهمس لها وكأنني احدته هو "كلا لست ناجحا ان الناجحون لابثون مقاطع ويقضون معظم الوقت يجبون عن الاسئلة الغبية ،

الناجحون لا يفتخرون بما افلحوا فيه ،الناجحون لا ينظرون خلفهم ليبحتوا عن من يحسدهم ،فكفك تمخترا بنفسك ونعته بكل فخر بصفة لا تمتل لك بصلة ، وكالعادة اخلص كلماتي بعبارة "احلام الناس لا تنتهي! وكأن اكد كل ما سبق بها..

ربما هذا المدلل حلمه ان يكون دو شعبية عالية في موقع تواصل ويحقق نجاحا غير متوقع لكن افتخاره بشيء لم يصله بعد يعد هراء وتبجلا فراغا .

كنت انوى الجلوس لبعض الوقت اشاهد غروب الشمس لكن تذكرت أنني صرفت ربع المبلغ الذي معي على اشياء غريبة وذلك الاستمتاع بها .ابتسمت وانا أتذكر عيسى يقول "الاموال مهما كانت لن تدوم" ومبلغي لن يدوم طويلا امام التفاهة التي تسعدني لذا

لابأس في البحت عن عمل ما برتيب يكفي للتسديد حاجياتي فيما بعد بدل من الاعتماد على بطاقة اخواتي .

اتخذت طريقا للعودة غير طريق الذي سلكته مسبقا وفي طريقي نداني بائع الكتب

_مهلا الا تمانعين من مراقبة بضاعتي الى أن اعود

_لابأس في ذلك إن لم تكون تنوى تأخير

_كلا عشرة دقائق على الاغلب واعود

ليس غريبا ان يترك بائع الكتب بضاعته لشخص غريب لا يعرفه لأنها في النهاية المطاف كتب مهما كانت قيمتها ستبدو مجرد اوراق مملوءة اللصوص لا تهتم بها ،أما من زرع في قلبه حب المطلعة لن يجرء على فعل امر شنيع

_بكم هذا الكتاب

كان صوت فتاة تحمل احد الكتب بين يدها لم انتبه لوجدها حتى تحدثت كما إني نست أن اسأل ذلك الفتى قيمتها

_لا اعلم إن كنت تنوين اخده خده بقمة التي ترين انه يستحقها

_حسنا

_يمكنك ان تضع المال داخل ذلك الصندوق فأنا لأهتم لها . قلت ذلك مشرتا الى درج بجوار الكتب والذي يحمل لفتت "كتب للبيع "

وما إن رحلت حتى توقفت سيارة بجواري ترجل منها شاب تقدم حمل بعض الكتب تفحصها ليعدها تم يأخذ غيرها وما إن استقر رأيه حتى بدراني بسؤال هو الاخر

_بكم هذا الكتاب

_انا لا أعلم ان كنت تنوي اخده فخده بقمة مالية تراه انه يستحقها

_أتعنى ان لا قمة مالية محدد للكتاب

_ربما هي كذلك لكني انا لا أعلم

_كيف

_انا لست المسؤولة عنهم صاحبهم غادر منذ قليل ونسيا ان يذكر لي التمن الحدد

_هكذا إذًا

كان شاب فضولي وكأن عبارته الاخيرة ستفتح نقاشا لانهاية له

_وهل تودين ان تشتغل بمكتبة

نظرت اليه وقد نفذ صبري من تلك الاسئلة التي يطرحها

_صحيح ان افكر في عمل لكن لم احدد اين ثم لا يعني ان اراقب بضاعة أحدهم لدقائق يعني ان افكر في العمل بالمكتبات لا تكون سخيفا رجاء

ابتسم بهدوء كما اني لمحت نظرات الاستغراب من أسلوبي ليثر غضبى

اردف قائلا

_كلا انا لم اسألك انا استشرك هل تودين العمل في احدى المكتبات

نظرت اليه بنظرات توحي بالقول ليكن ما يكون جوابها واحد

ليتمم قائلا "حسنا سأترك لك بطاقتي أنى افكر في فتح مكتبة لو تودين العمل بها اتصل بي

وضع البطاقة اعلى الكتب تم التف رحيلا

_الكتب

نظرا الي بتساؤل فتبعت قائلات وانا أشر الى الكتب بيده "انها لست بالمجان"

أخرج مبلغا ماليا ووضعه بصندوق ليهمس بصوت منحرج

_اسف لقد نستها

_لا عليك

وما إن رحل هو الاخر حتى عاد الفتى المسؤول عن الكتب

_هل تأخرت

_لا

_شكرا لك

_على رحب وسعة ،لقد بعت ثلاثة كتب في غيابك

_حقا هذا يسروني انا أشكرك

_لابأس ستجد المبلغ بذلك الدرج

فتح الصندوق تم التفت الى بدهشة حملا في يده مجموعة اورق نقدية

_انه مضاعف على ثلاثة كتب

_لا علم اخدوها بالقمة المالية التي يرون انهم يستحقون ذلك

_تبدو فكرة جيدة لكن مع هذا القدر يبدو انها مبلغة وان فكرت بالاستمرار مثلك يكون هناك قارئ

بينما هو يتحدث لفت انتباهي عنوان لكتاب لم اقرئه من قبل أخدته مشيرتا له به

_إذًا لا تهتم وبالمناسبة اريد هذا كم مبلغه

_خده مجانا اعتبره هدية

_هكذا إذًا سوف أخذه ولتعلم ان هذه طريقة ايضا تجلب القارئ لكنها لم تجلب حق الكتب

تبسما ضحكا ليتابع قائلا "إذًا لابدا من الموازنة "

هززت رأسي بهدوء وتوجهت عائدة لنزول وانا امسك ذلك الكتاب كطفل مرة ارفعه ومرة احضنه .

وفجأة سمعت رنين خافتا يصدر من جيب سترتي معلنا عن وصل رسالة فتحوها لأجدها من العم عمر يخبرني انه خرج لتو من منزل راشيد ويبلغني انه أقلة فتارات الخمور كما انه امتنع عن تدخين وتردد على القمار.

فرحة عارمة بداخلي يتراقص على انغامها قلبي ولولا ما كنت ام باب الفندق لا كنت قفزت على إيقاع سعادتي .

ولاإراديا عنقت موظفة الاستقبال استغرب الاخرون ونعتوني بالمجنونة لكن لأحد يعلم ان في هذه الموقف لم أجد احد غيرها لأشركها سعادتي

لم أجد غير سناء لأضمها إلي واحكي لها عن حظ الوافر هذا اليوم ربما اكون قد أتبت نظرية التي تجول في دهنيهم الان ،لكن لم افعل وصعدت لغرفتي مكتفيتا بالأحراج الذي سببته لنفسي في البداية...

بإحدى المقهى بحي الملاح كنت اجلس وفي يدي كتاب الذي اخترته يوم امس اطلعه وماهي إلى لحظات حتى وقف النادل بزيه المعتاد هتف قائلا

_ماذا تودين

_كوب قهوة

انا لست من محبين القهوة كما أنني اكرهها لكن كل ما أريده هو الجلوس لبعض الوقت

غاب عن نظري ليعود وفي يده طلب مع كوب ماء وو...

_ما هذه ؟

_مطفأة تدخين

_وهل ابدو لك إني أدخن

_لا لكن من البديهي أن أضعها امام الزبائن

_إذًا لتأخذها معك

اخدها وهو ينظر لي بطرف عينه ،كانت المقهى تعج بزبائن

_اعتذر هل يمكنني الجلوس بجانبك

فتاة بعمري او أكتر لكنها تبدو أنها لم تتجاوز الثلاثين بعد

_لا مانع في ذلك ان كنت ستصمتين

_حسنا لن ازعجك .هززت رأسي وتبعت القراءة

لكنها لفتت انتبهي انها اخرجت سيجارة لتضعها في فمها اشغلتها لتنفث دخانها بوجهي ابهت لي .

اصبت بالاختناق لكنها لم تبالى سألتها وانا اتمنا ان تتوقف عن ذلك

_هل تتدخنين

اجابت بهدوء "في بعض الاوقات

كانت ملمحها هادئة ذات شعر اسود وعينها بنتين كما انها تضع القيل من المساحق التجميل تسألت هل هم هؤلاء الفتيات التي كانت تدعو لي ولدتي طوال الوقت بأن يبتعدوا عني واتفادهم ،تنهدت وهي تمد لي بها

_لا... لا انا لا أدخن . يبدو يأمي ان دعوتك قد انحرفت قليلا لأقابل هذه الفتاة

_قصة شعرك جميلة

_ شكرا تم إن ادعى ليلى فماذا عنك ؟

صمتت قليلا لتتابع وهي تتفحصني

_هل انت من هنا

_لا. وأنت

_نعم انا من المدينة

_ما لذي تفعلينه

_اشتغل وانت

كانت تبدو لطيفة نوع ما اجبتها بهدوء "ابحت عن شغل "

نظرت الي باستهزاء وهي تغرس رأس سيجارتها بالمطفأة امامها لتتحدث بعدها وكأنها تتحشي وجودي

_لا تعلمين ان القانون ينص على معاقبة تشغيل القصيرات

كانت نبرتها عبارة عن سخرية واضحة تجاهلتها لان لست في وضع يسمح لي بصراخ في وجهها المتغطرس

_انا في عقدي ثاني واحمل هوية تتببت ذلك كما أنني ...

نظرت اليا بطرف عينها متجاهلة قولي لتتابع سخريتها بل لتبحر في الاستهزاء عن طريق قصر قامتي وربطة رأسي ،لم احب يوما المتنمرين ولم اعهد على تنمر ولست من يحب ان يجلب انتباه الاخر

كما اني غريبة عن هذه المدينة وهذا بحد ذاته يعتبر حاجزا امامي وجسرا تقف عليه وتقول للدين هنا انا قوية هكذا يرى المتنمر نفسه او ربما هي كذلك

،ارتشفت رشفة من الكوب المياه الذي امامي قائلات

_انت لست طفلة كنت اراك اكبر من هذا الاسلوب طفولي ،لكن يبدو ان شخصيتك ضعيفة لتتمسك بخيوط تنمر من أجل أخفاها، لدا توقفي فأنا لأريد ان لفت الأنظار لي كما تحولين ان تفعلي

يبدو ان كلماتي فتحت ابواب بداخلها وكسرت الحاجز الاحترام الدي كانت تضعه قبل قليل لتلتقط مسامعي وابل من السخرية والاستفزاز ،شعرت بالغضب كما انها شدت الانتباه الجمع اصبحنا محطة انظار الفضولين وكأنهم ينتظرون خصاما ينتهي بتدخل العامة لحله اما هي كانت غاضبة جدا كل ما كنت انتظره في تلك الاثناء حدوت معجزة توقفها لأنه طفح الكيل منها ومن الفظها الصبيانية ..

_توقفي يا مريم هذا ليس لطيفا

كان صوت صدر من احد العامة يبدو انه يعرفها رفعت نظري لأرا من الذي حملته الاقدار كرياح ليطفئ هذه الشمعة التي تحرق نفسها وتذيب صبري ،كان شابا طويلا القامة اسمر البشرة تحط بي وجهه لحية خفيفة كنت ممتنة لذلك الفضولي الذي قابلته يوم امس كغريب اطوار وهو الان يقف امامي كبطل ينقد موقف محرج وخصاما لانهاية له كان سيحدث ،حملت كتابي للغادر تحت أنضارها وانظاره المستغربة ، لا أعلم هل ينتظرني ان اشكره على موقفه البطولي الدي انقدني من مشكلة ماكنت اتوقع نهايتها ،ام انه يتساءل عن ردت فعل توجهها .لم اعد ابالى كل ما أريد الان هو تهدئة نفسي ثائرة وأعيد ترتيب أفكاري المطربة.

_لحظة انتظري

_ماذا

_كنت انوي ان اسألك عن ردك بخصوص ما أخبرتك بيه يوم امس.

_لابأس سأتصل بك فيما بعد

لا وقت لي لنشب حوار معه على ما فكرت به لأن لم افكر بشيء طوال اليل وانا اقلب بطاقته بين اصابعي شاردة دهن لم اتخذ قرار محددا ،تم يبدو ان لن اتخذ ذلك القرار من الان لأن لأرغب بأن أتورط مع المدعوة مريم من الان فصعدا، هتفت هذه الاخيرة متسائلات " لحظة هل تنوي مساعدتها هي "

_اجل

_الي تراها عديمة الفائدة مدللة مثلها لن تحسن في شيء.

سحقا لهذه الفتاة انها مزعجة للغاية تبحث عن افتعال المشاكل من اي زاوية رأتها مناسبة لذلك كنت انوى الابتعاد لكن حينما نادتني بالعديمة الفائدة كأنها اترت الحرب بداخلي

_سيد عدنان صحيح ،انا اتخذت قراري الان سأكون مسرورة بالعمل بمكتبتك

نظرت اليا مريم بنظرات مختلفة ليست كتلك المليئة بسخرية قائلات

_يبدو ان لا احذ يولد متفقها بشيء لكنه يتعلم مع الوقت

فتحت فمي اثرا الصدمة من ردت فعلها ما قصتها انها متقلبة المزاج مغرورة لكنها تتفوه بشيء في بعض الاحيان بحكمة.

متغطرسة لكنها لطيفة

_لقد صدقت القول يا مريم تم لا تنسي انها تدين لك بشيء

_ربما ..لكن لن افعل

يتحدثون بينما اقف وسطم كصمم لا أعرف ما يدور بينهم تقدمت مريم بخطوات هامسة لي "أعتذر يا متعجرفة على ما بدر مني "

_هل تعتذرين ام انك تشتمنني ،كما يبدو انك لا تحسن الاعتذار سأعلمك إذًا

_اذهب الى جحيم

ابتسمت تلقائيا على ردها طالما كنت اسمع تلك الكلمات يرددها راشيد ربما لأني اعتدت عليها فيما مضي

لدا لم اكون امانع ان اسمعها من شخص اخر خاصة ان كان هذا الشخص متقلب المزاج متناقض شخصية ، سيكون من الممتع ان اضم الى للاحة الاصدقاء شخصا مثلها ، لا سيما انها اتبت لي لحقا أنها جديرة بالثقة ،لم ينتهي اليوم بالخصام فقط وتصفية الامور بعدها ،لكنه استمر طيلة الاسبوع عراك وخصام اكتر من الوقت الذي نتحدث فيه ،جدال طوال الوقت .يقال ان الجدال يوطدوا

العلاقات بين الناس ،لكن على ما يبدو ان مريم لا تنطبق عليها هذه المقولة .حينما اعزمها على ان ترافقني الى مكان ما ،كانت تلبي طلب ليس رغبة بأن تقضي وقت ممتعا لكنها لأنها تحب ان تجدلني وتنشب عراك معي

ليس من المعقول ان نتشاجر طوال الوقت لكن مريم تملك لسان سليطا لا يكف عن استفزازي وإخراج غضبي ،لكن في المقابل كنت اشعراني بدأت الف تغير مزاجها وعفويتها وبدأت اتقبل اسلوبها وشخصيتها الغريبة ،كنت اشعر بطمأنينة لوجدها اصبحت احب ان أجدلها في كل يوم بل بكل ساعة ،شعرت وكأنني وجدت من يشبهني بالروح وكأن ذلك الضياع انصهر تماما.

_ألن تتوقف عن تخريب كل ما ضع

صرخت تلك المجنونة بوجهي حينما اوقعت بعض الكتب من أعلى رف

بينما كنا نساعد عدنان بتجهيزات قبل فتح المكتبة يوم غد ليأتي صوته بهدوء "أهدئي يا مريم لم يحدث شيء " .

احلام الناس لا تنتهى

_انا لم أكون اتوقع ان إفتاح مكتبة في شارع ما نسي سيهتم بها الزوار لهذه الدراجة"

همست لمريم وانا اتفحص الحشد الذي يقف بداخل ،رجال اعمال ونسائهم ،محررون ،شباب ونساء الحي ،مغاربة دو اصول يهودية اجانب مختلفون ،.

في المكتبة تلك اجتمعت الطبقات والديانات ومختلف الثقافات

_ليست المكتبة بل صاحب المكتبة "نظرت لها إليها متسائلة

_لماذا عدنان مهتم بهذا الحشد انه شخص عادي متل غيره فتح مكتبة ما الغريب في ذلك

نظرت اليا وكأنها تقول لي انت لا تفقهين شيء

_عدنان احد رجال الاعمال لذا لا تستغرب من وجود منافسين وفضولين ،تم اصدقاء وغرباء في فتاح مكتبة متوسطة الحجم بهذا الشارع ،

إن دهشت من قولها فأشرت عليه " أتقصد ذلك الواقف هناك حببك عدنان

_اقصد عدنان هو نفسه تم انه ليس حبيبي لذا توقف عن مناداتيه بذلك

غادرت مريم للتحدث الى الزوار بينما انا لزلت مكاني مندهشة لتخطر في بالى بعض الكلمات كان يرددها اخي عتمان "ان الظاهر خادعة "وانا خدعني مظهره ،وبينما افكر في كل شخصيات اجد انه ليس من المعقول ان يكون هذا الحشد يحب الكتب لكن وجدهم هنا له سبب ،التقطت أداني همس متفرق

فهناك من يتهامس سخرية وتهكم

وهناك من يمزح بعضهم مزاحا تقيلا

وهناك من هم مهتمون وهناك من يستغل الموقف لتوسع مجال عمله

وهناك من يتهامس على غيرهم وينعتونهم بكلمات غريبة تم هناك صنف الاخير الذي يخطط لعلاقات ارتباط بعدنان ابتسمت فوجدتها فكرة مسلية لأكسر الملل سألت مريم ان لم تكون تعترض تلك المحادثة قصد اغضابها لكنها فاجأتني بقولها "انا لاهتم عدنان قريب ولا يمتل لي بصلة كما أني انتظر شخصا أخر"

تصريح بالمشاعر التي تخفيها امر كنت استبعده من مريم لكن ها هي الان تعترف ،ابتسمت لها ابتسامة مكرا فهمت في الحال انها اوقعت نفسها في مأزق لا خروج منه لعنت نفسها على زلت لسانها مشرتا لي الى احد الاتجاهات

_نظر هناك

رأيت احد الزوار تعقم اي شيء قبل ان تلمسه لو كانت تلك الكتب تتحدث لا اشتكت من كثرت المبلغة في تعقيم هتفت مريم "ها هي مجنونة "

_لا انه هواس النظافة المبلغ فيها

جحضت عينا مريم لتجيب وهي تضغط على اسنانها

_هل تعنين اني لم انظف المكان جيدا

_انه مرض تعاني منه هي لست انا من قصدك

ولسبب ما شعرت ان مريم تدبر شيء فضيع براسها

_لا تفكر كثيرا لن أذعك تفسدين فرحته اليوم بمقالبك . نظرت الى بربة

_شعرت بملل وكنت انوي الاستماع قليلا ما المانع في ذلك

_هناك مانع

شخصية مريم المتغيرة بدأت تخفني يمكنها ان تفسد اي شيء فقط لأنها شعرت بالملل ولم يعجبها

ويمكنها ان تقدم الافضل ان كانت في مزاج جيد ،لا علم سبب تناقضها لكن اصبحت اتمنى ان ينتهي هذا الامر بسرعة قبل ان يصيبني الملل واسيرها في افكارها انها الان نظرتها مترصد كائنها دئب ينظر فرسته ..

ساعة قليلة وبداء الحشد يفترق لتخلو المكتبة وتعود مهجورة خالية سوى من مريم التي استلقت على كرس وتعب ظاهر على ملمحها وعدنان الذي لم اره قط بكل ذلك الحماس والطاقة وكأنه لم يقف منذ صباح الى منتصف الظهر ،ثم انا التي اقف على راس مريم مستندة على الكرسي الذي تجلس عليه متسائلات ماذا بعد ..

فمند ان نزلت من الحافلة وانا اضع الايام بين الاقدار ،كل ما حدت حتى الان كان صدفة صدف متتابعة .

فمادا بعد؟ هل ستبقي اي صدفة ام ان للقدر رأي اخر ام للقدر رأي أخر؟

_احسنتما يا فتيات ولأنكم سعدتماني بجد وبدون تهاون فسأكفئكم بمكافأة على جهدكما "ما ان انتهى عدنان من قوله حتى قفزت مريم ردت "مادا تكون"

_من الان الى المساء سأنفذ كل طلباتكم

_حقا لدينا قائمة طويلة .هتفت مريم نظرتا الى بحماس وكأنها لست تلك التي كانت مستلقية امامي اما ذاك الاخر اي جنون اصابه ليهتف بذلك إلى يعلم ان لانهاية لطلبات مريم ،همس مدحتني

_ماذا عنك

نظرت اليهم وانا افكر لزلت لم اجد ما ابحت عنه وهل رفقتي لهما ستكون من صواب انا نفسيتي متعبة وهم الحماس يغمرهم هل من صائب مسايرتهم انا منهك من شدة تفكير عن الذي يمنعني ان اكون قريبة لشخ عمر وابي ما الذي يمنعني من ان اساعده ان يتخلص من ادمانه بدل من تركه على عاتق الشيخ عمر ثم لماذا لم يحدثني الى الان هل ابتعاده عني كان راحة له ثم مادا ...

_ ليلى هل هناك مشكلة ؟

ها انا اشرد اكتر من لزيم حتى جعلتهم يقلقون علي

_لا ليس هناك مشكلة تم إني اعتذر لن استطيع ان اتى معكم

_ما الذي تعنيه ايتها المجنونة

_مريم توقفي عن ذلك...اخبرنا ما السبب

اي سبب كان لن يكون حدا لأفكاري اي سبب كان لن يجعلني اهرب اكتر

_ليس هناك سبب

_إذًا ستأتي ولا داعي لرفض

"""لنذهب الى المطعم اولا "صرخة مريم فجأة وهي تعد اصابع يدها واردفت قائلة "تم بعدها لنزر كل المحلات ونأخذ استراحة بصالون الحلاقة و...

_توقف رجاء هل تنوين ذلك حقا

امسكت بدراعي وهي تضغط على الحروف بين اسنانها

_انت كفاءتنا ونحن نستمتع بكفاءتنا

فكرت قليلا في مكان لم ازره منذ مدة طويلة

_وماذا عن ساحة الملاهي

_فكرة ممتازة

_ستجعلانني اغير رأي

ركبنا السيارة معا وكانت وجهتنا احد المطاعم التي قررتها مريم كما انها لازلت تعد قائمتها وكأنها تفكر في قضاء بعض ساعات مالم تستطيع زيارته طوال الوقت عمرها سألتها وكأنني تذكرت شيء

-بالمناسبة يا مريم انت لم تحدثني عن حياتك ابدا فأنا لا أعرفك

-وماذا في ذلك الى يكفي الاسم

-لا

-إذًا الايام كفيلة بأن تعرفك عني ايامي كلها متشابها

نظر اليا عدنان من مرأة السيارة والفضول ضاهر على ملمحه

"اخبرنا انت ما قصة تلك ربطة الرأس

تلمست رابطة رأسي وانا اللعن الفضول الذي بسببه تفتح صفحات وجروح كدت ان تنسي

_صحيح دائما ما كنت ارغب بسؤالك وانسي "تحدثت مريم وهي تلتفت لي

_حادثة قديمة

_كيف حدثت

كنت اتمنى ان اختفي من أسألتهم وفضولهم فأنا لست ارغب في ذكر تفاصل عشت معها الكوابيس

_ندبة على رأس اتر حادثة قديمة

_اريد ان ارها

_وانا لأريد

_ ايريني إيها رجاء

_توقف يا مريم لا تضغط عليها اكتر ربما لا تريد احد ان يرها

_تماما كما قال لست مستعدة ليرها اي احد

_لكني لست اي احد

بحركة بطيئة تحركت يدي لتفك رابطة الرأس تركتا ايها تسقط على ركبتي ليتبعها شعري القصير وينسدل على جبيني بطريقة جانبية

اوقف عدنان سيارة وتعبير مختلطة على وجهه ،شعرت بإحراج وكأن صوت بداخل يقول لي افتح الباب وغادري

غادري قبل ان تنهال عليك أسالتهم غادري قبل ان يعرف انك كنت سببا في عدة أحداث غادري قبل ان تنفتح الجروح القديمة وتجدين نفسك غارقة في الحزن وضياع من جديد

لكن توقف ذلك الصوت حينما هتفت مريم بدهشة ""انها مميزة اول مرة ارى ندبة تزيد جمال شخص" ليتابعها عدنان متمتم ببعض الكلمات لم تستطع اذني سمعها فاعدها بصوت مرتفع

_ما شاء الله تبارك الرحمان

للحظة شعرت بسعادة ولأول مرة اشعر وكأنني شخص عادي ولأول مرة اسمع مديح عن دنب وضع أثاره في جبني لأعش طوال الوقت اهرب منه

وهؤلاء اجبروا بخاطري بل إنهم جعلوني احب تلك ندبة كانت عينهما صدقة

_انها حقا لطيفة وجميلة "ردد عدنان تلك الكلمات لتابعه مريم حالمتا "انها حقا مدهشة

وما إن انهت كلماتها حتى احسست اني امسكت خيوط الحرية

ابتسمت ،بل دخلت في هستيرية الضحك حتي دمعت عيناي ،تعجبو من تغير مزاجي

"هل جنينتي " نعم يا مريم لو تعلمي كم تقل ابعدته كلماتكم كم كسور لممتها تعبيركم الصادقة انا جننت بجبيركم لخاطري جننت لأنكم احببتماني في نفس اكتر اعدت رابطة الرأس وانا ابتسم لهم ابتسامة تعبر عن ما يرد قوله لساني في تلك الاثناء ،

_حسنا إذًا ربما جننت قليلا لكن أسرعوا فأنا تحمست لزيارة مجموعة الاماكن "

لوهلة تخيلت ان سيارة عدنان تطير لتجول المدينة وتتوقف في عدة اماكن مختلفة

وكأنني اعدت في هذه اللحظة سنتين من التي قضيتها وسط جدران

ما كانت الى ساعات شعرت فيها اني وجدت ما ابحت عنه وجدت ذاتي

فكل ما كنت اريد هو ان احب نفسي واحب ذاتي واتقبل مصري ....

اسبوع اخر يمر لكن هذه المرة لأرغب في الاستمرار بتنقل

اريد ان ابقى هنا بينهم ،بين هؤلاء المجانين ،لذا انتقلت الى منزل اجرة بالحي كما انني محظوظة بهذه الوظيفة

"هذه الكتب جديدة عليها ان تبقى امام الانظار" كان صوت عدنان وهو يرتب بعض من الكتب على الرف ،

_حسنا كما تشاء

بعد ذلك الحشد الذي ارعبني في اليوم الاول لم يقبل احد على هذه المكتبة سوى بعض الاشخاص في الايام الاخرى طلاب الجامعة وبعض الفتيات الحي ويهوديا مغربيا يزورنا في بعض الاحيان بالإضافة الى بعض الاجانب كلهم كانوا يأتون في اوقات مختلفة

اما في وقت الفراغ فقد كان العم إدريس يملأه هذا العم هو عمل نظافة يحب المطلعة لذا منذ ان فتحت هذه المكتبة لم يفرقها يوما وبين الفينة والاخرة كنا نتحدث لم يتجاوز العقد الثالث من عمره لكنه اثقل تعب كهله وشاب الهم رأسه فاصبح عجوزا في شبابه الكل يناده بالعم حتى الشيخ نفسهم ومع ذلك طمحا نحو أحلامه تم مريم تردد عليا يوميا بعدا الظهر تشجرني احيانا وتعزمني احيانا اخرى للقضاء وقت بالخارج

_هل سمحت بدقيقة ..

وهذه الفتاة ذات العيون الزرقاء ايضا لم انسها لكنها لا تأتى الى في الايام الاخيرة للسبوع تزمننا مع وقت تردد عدنان على مكتبة لا

أذكر انه سألي يوما عن المبيعات كان سؤاله دوما هل جاء قارئ فكنت أقول جاء الكثير

لا كدب فواحد مهتم يساوي مئة شخص من أولئك الذين يلعبوا لعبة الورق امام ابواب أو أولئك الذين يفضلون الجلوس برأس الشارع ينتظرون مرورا أحدهم بلباس ضيق لبدأ في اصدار اصوات مزعجة تشمئز منها النفس

_المعذرة يا سيد ..

كررت تلك الفتاة ندائها رغما اني امامها فهي لا تريدني أنا تريد ذلك الذي خلف رفوف الكتب متوار عن أنظارها وبما أنه لم يسمعها فخطرت ببالي فكرة ربما سأستمتع معها قليلا

_تفضلي مرحبا أنا سأسعدك

بدت مستاءة جدا ،ردت فعل متوقع منها لأنها هي لا تأتى للقراءة تلك الكتب الموضوع على الرف لكنها تأتي لتقرئ ملامح صاحب المكتبة

لترد بعدا ذلك "عفوا اريد ان أحدث صاحب المكتبة " اعجبتني صراحتها لذا تقدمت منها حتى لا يسمعني الاخر وهمست لها

"ها أنا امامك "

_إذًا من يكون عدنان ان كنت صاحبة المكتبة

كلماتها اضحكتني ،هذه الفتاة جريئة جدا انها فرصة مثالية لاستمتاع قليلا

_مساعدي

تفوهت بذلك وانا أعلم ان عدنان لن يمرر لي تصرفي كما أنى لحظة احرجها لتقول بعدها

_كنت انوي ان أخذا الجزء ثاني لهذا الكتاب فلم أجده

_حسنا سأرى

اخدت ما بين يدها وأنا أمثل الغباء في عدم رؤيتي للكتاب رغما انه يقبع امام نظرينا بوضح وتوجهت الى حيت يقف عدنان مختفي عن مجال رؤيتها مشغولا في تفحص بعض الكتب

_عدنان ...يا سيد عدنان

_نعم ماذا هناك

_هلا أخدت هذا الكتاب الي تلك سيدة هناك.

نظرا اليا باستغراب فمثلة ان مشغولات جدا واخشي ان يطول انتظارها

فأخده مني مبتسما انطلت عليه الخدعة فأنا كنت انوى الاستمتاع قليلا ولست لئيمة لدراجة ان افسد خطة فتاة تتطلع شوقا لرؤيته

رأيت ملامح دهشة عليها وكأنني بعت لها صدمة كهربائية قوية كافية لتسقطها أرضا وانا اهمس لنفسي "احسن تصرف ايتها الفتاة ذات العيون زرقاء ،سمعت رنين خافتا يصدر من يجب ليفسدا عليا الرؤية

فتطلعت اليه كانت رسالة من مريم تعتذر فيها لأنها لن تمر اليوم وتشتكي من الاعمال التي انهالت عليها فجأة

شعرت بقليل من الخدلان لكن لابأس في بعض تغيرات المفاجأة احيانا ،عاد عدنان وعلى ملمحه البلاهة والغباء كان مضحكا هتف قائلا

_هل تسمحين ياسيدتي لمساعدك الكسول ان يأخذ وقتا يتسكع فيه قليلا

علمت حينها ان تلك الحمقاء اخبرته شعرت بالحرج ابتلعت ريقي بصعوبة وانا أبلغ في الامر

_لا مانع في ذلك ان كنت ستأخذني معك

صمت قليلا في تلك الاثناء خمنت في طريقة التي سيطردني بها أو العقاب الذي سيصدره

_لابأس هيا بنا

لقد افسد خيالي بموافقته وبدد افكاري بجواب غير متوقع ثم أنني لم اسأله الي اين ليتوقف بعد مدة قصيرة بجانب البحر بمنطقة المون

_إذًا مكانك المفضل والذي تحبه هو البحر

_لا بل أحب الصيد بالبحر

احضر من صندوق السيارة صنارة وإناء فارغ تم كيس بلاستيكي يحمل طعم ،كان الامر يبدو ممتع ان ترمي الصنارة وتنتظر الفرسة ان تع في الفخ فكرت قليل ربما عدنان الان يملك عقل سمكة ليكشف تحركاتها ويصطدها لعنة خيالي الف المرات ،نظرت بعيدا، كان صوت الموج وارتطامه بصخور ايقاع موسيقي طبعي لامثيل له

سألت عدنان وان ارمي الحجارة بالبحر لأشهد تشكل المياه بعدها
_إن كنت تحب الصيد لماذا فتحت مكتبة إذًا .؟
_حلم
_وهل انتهت أحلامك الان؟
نظرا اليا مبتسما ليهتف وعينه تتلألأ
_لا...أحلام الناس ... لا تنتهي !